كُل المودة
طريق النحلـ J

يحظر بيع هذا الكتاب للرّجال

نسيان

أحبّيه كما لم تحبّ امرأة و **انسيه** كما ينسى الرجال

إهداء أوّل

أهدي هذا الكتاب أوّلا إلى قراصنة كتبي. فلا أعرف أحدًا انتظر إصدارًا جديدًا لي كما انتظروه.

أنا مدينة لهم بانتشاري. فلولاهم ما فاضت المكتبات بآلاف النسخ - المقلّدة طبق الأصل - عن كتبي.

إلى صديقتي تلك.

إلى نبل ترفّعها أرفع هذا الكتاب.

إلى النساء اللواتي عقدن قرانهن على الانتظار

و إلى " الرجال الرجال " الذين بمجيئهم تتغيّر الأقدار.

هكذا تورطت في هذا الكتاب

أغبطك نعمة الخشب، نعمة النسيان
أيّها الباب
سوف تحيا من بعدي

فقيد الشعر بسام حجّار

الكاتب مرشدًا عاطفيًّا

بماذا يفيد الأدب إن لم يعلّمنا كيف نحبّ؟

كامي لورانس

للشاعر ريلكه كتاب عنوانه "رسائل إلى شاعر شاب". يشرح فيه لمن يريد القبض على نار الشعر كيف يصبح شاعرًا. و أيّ جحيم عليه أن يعبر قبل بلوغه فردوس القصيدة. و مؤخرًا أصدر الروائي البيروفي - الوسيم شكلًا و قلمًا - ماريو بارغاس يوسا كتابًا بعنوان "رسائل إلى روائي شاب". هبّ من خلاله لنجدة الروائيّين الشباب الحائرين أمام الكيمياء المعقّدة للإبداع التي تتفاعل في دهاليز النفس المعتمة و القصيّة، مثل فن لا يمكن القبض عليه.
أمّا المفاجأة الأخيرة فكانت القصيدة التي تركها محمود درويش قبل رحيله كوصيّة لشاعر شاب. كمن يترك آخر تعاليمه و يُهدي أخطاءه لمن سيواصل الطريق بعده، مختصرًا عليه عمرًا من الهفوات.
حدث كثيرًا أن تمنّيتُ لو أنّي أملك الوقت و الصبر اللازميْن لكتابة "رسائل إلى عاشقة شابة".
لا أحد يعلّمنا كيف نحبّ.. كيف لا نشقى.. كيف ننسى.. كيف نتداوى من إدمان صوت من نحبّ.. كيف نكسر ساعة الحبّ.. كيف لا نسهر.. كيف لا ننتظر.. كيف نقاوم تحرّش

الأشـــياء بنـــا.. كيـــف نحـــبط مـــؤامرة الـــذكريات.. و صـــمت الهاتف.

كيـف لا نهـدر أشـهرًا وأعوامًـا مـن عمرنـا فـي مطـاردة وهـم العواطـف.. كيـف نتعـاطف مـع جلّادنـا مـن دون أن نعـود إلـى جحيمـه.. كيـف ننجـو مـن جحيمـه مـن دون أن نلقـي بأنفـسنا فـي تهلكـة أوّل حـبّ.. كيـف نخـرج مـن بعـد كـلّ حـبّ أحيـاء و أقوياء.. و ربما سعداء.

هـل مـن يخبرنـا و نحـن نبكـي بـسبب ظلـم مـن أحببنـا أنّنـا يومًـا سنضحك ممّا اليوم يبكينا؟

سـنندم كثيـرًا لأنّنـا أخـذنا الحـبّ مأخـذ الجـدّ. فـلا أحـد قـال لنـا أنّـه في الواقع أجمل أوهامنا و أكثرها وجعًا.

لـسبب بـسيط: قـدر الحـبّ الخيبـة. لأنّـه يولـد بـأحلام شـاهقة أكبـر من أصحابها. ذلك أنّه يحتاج أن يتجاوزهم ليكون حبًّا.

لا يمكـن حـصر عـدد الكتّـاب الـذين عبـر الأزمنـة و الحـضارات و بكـلّ اللغـات عملـوا مرشـدين عـاطفيّين للتـائهين مـن العـشاق فـي الأزقـة و الـشوارع الجانبيّـة للحـبّ. لـيس لـي هـذا الإدعـاء. أنـا مجـرّد ممرضـة لا تملـك سـوى حقيبـة إسـعافات أوليّـة لإيقـاف نزيف القلوب الأنثويّة عند الفراق.

مـع القطـن و الـسبيرتو و الـضمّادات, أحمـل لكـنّ كثيـرًا مـن الضحك.هل تعرفن علاجًا أفضل ؟

+ كتبـت " دليـل النـسيان " هـذا بـسخرية كبيـرة. أريـدكن أن تـضحكن. لا شـيء يـستحقّ الأسـى. " هـل ثمّـة مـا هـو أكثـر سـعادة مـن الفـراق؟ " تـسأل غـادة الـسمّان. أو بـالأحرى هـي تجزم بذلك.

في النهاية، ما النسيان سوى قلب صفحة من كتاب العمر. قد يبدو الأمر سهلًا، لكن ما دمت لا تستطيع اقتلاعها ستظل تعثر عليها بين كلّ فصل من فصول حياتك. ليس نظرك هو الذي يتوقف عندها، بل عمرك المفتوح عليها دومًا، كأنّها مستنسخة على كلّ صفحات حياتك . لذا يعلّق مالك حداد بتهكّم مرّ " يجب قلب الصفحة، هل فكرتم في وزن الصفحة التي نقلبها؟ ".

دور الكاتب تخفيف وزن هذه الصفحة ما استطاع، و قلبها نيابة عنكم. دعوني أحاول. ربما استطعت قلب صفحتكم هذه. ذلك أنّه من الأسهل قلب صفحة الآخرين !

الفصول الأربعة.. للحبّ

كتبتنـــــي
باليـــد التـــي أزهـــرت فـــي ربيعـــك
بـــــالقبلات التـــــي كنـــــت صـــــيفها
بــالورق اليــابس الــذي بعثــره خريفــك
بــالثلج الــذي سـرت علــى نــاره حافيــة

قبــل أعــوام عَلِمْــتُ أنّ بعــض الجمــل التــي جــاءت فــي كتبــي, يتبادلها العشّاق في ما بينهم كرسائل هاتفيّة.
مــا كــان يــضاهي ســعادتي إلّــا ذعــري أمــام هــذا الخبــر. أيّــة مــسؤوليّة أن أصــبح شــيخة طريقــة فــي الحــبّ, و أن يغــدو لــي أتبـــاع و مريـــدين يـــسيرون علـــى مـــذهبي العـــاطفي, و يـــروون عنـــي أقوالًـــا لـــست واثقـــة تمامًـــا مـــن صـــحّتها. و نـــصائح مـــا خبـــرت عواقبهـــا. فأنـــا لا أملـــك لهـــم فتـــاوى و لا مـــواعظ و لا أحكـــام شـــرعيّة. الحـــبّ لا شـــرع لـــه و لا مذهب.
لكنّـــي دومًـــا وجـــدتني متورّطـــة فـــي قـــصص حـــبّ قرّائـــي. حتـــى الرجـــال كـــانوا يـــستنجدون بـــي لحـــلّ مـــشاكلهم العاطفيّـــة.
[حــين صــدرت ذاكــرة الجــسد قبــل خمــس عــشرة ســنة التقّــت حــولي كــلّ طوائــف العــشاق. أذكــر أنّنــي قــضيت أســابيع علــى الهــاتف أحــلّ مــشكلة ضــابط فــي الجــيش يحــبّ فتــاة مــن غيــر

طائفتــه. و مــشكل شــاعر حجبــوا عنــه حبيبتــه - تمامًــا كمــا فــي العــصر الجــاهلي - منعوهــا مــن مغــادرة البيــت و منعــوا عنهــا الهــاتف و مــا عــاد يعلــم عنهــا شــيئًا. و كــان علــيّ أن أتنكّــر و أن أتقصّى أخبارها بعد أن جاءني بهاتف أهلها.

أحــدهم بعــث لــي مــرّة رســالة مــن الأردن يطلــب منّــي أن أهــاتف حبيبتــه فــي عيــد ميلادهــا لأنّهــا تــرفض الــردّ علــى هاتفــه. كــان يريــد أن أبلغهــا أنّــه يحبّهــا و يعتــذر منهــا لأنّــه أخطــأ فــي حقّهــا. أو لعلّه خانها.

قــال أنّــه مــا وجــد طريقًــا إليهــا ســواي لعلمــه كــم تحبّنــي. و كــم بإمكــاني أن أؤثــر علــى قرارهــا. مــن حــسن حظّــه أنّنــي مــررتُ بمكتــب البريــد يومهــا. فقــد وصــلت الرســالة فــي يــوم عيــدها. و قــضيت وقتًــا علــى الهــاتف أقنعهــا بالــدفاع عــن حبّهــا. و مــنح هذا العاشق فرصة أخرى.

و فــي أحــد معــارض الكتــاب بــالجزائر. قــصدني أحــدهم ســعيدًا برؤيتــي قــال أنّــه تــردّد علــى المعــرض عــساه يــصادفني لأنّ حبيبتــه طلبــت منــه مهــرًا كتــاب عــابر ســرير بتــوقيعي الــذي كــان قــد صــدر لتــوّه. فتركــتُ لهــا قبلــة علــى الكتــاب و حــدّثتها علــى هاتفــه و وعــدتهما يــوم زواجهمــا بثلاثــة أيــام إقامــة فــي أيّ فنــدق يختارانــه فــي الجزائــر. فقــد كــان واضــحًا أنّهمــا طالبــان جامعيّــان لا يملكــان إلّــا ثــراء الحــبّ. كانــت تلــك أجمــل وعــودي علــى الإطــلاق. ككاتبــة متورّطــة فــي حيــاة قرّائهــا حــدّ التحــول إلــى وكالــــة زواج و تــــأمين مراســــيم الأفــــراح للعرســــان مــــنهم. لكنّهمــا مــا عــاودا الاتــصال بــي. لعلّهمــا افترقــا.. أو لعلّهــا مــا أحبّت الكتاب !

على مدى عمر من الكتابة. كم استودعتني النساء من أسرار. و كم تجمّعت لديّ قصص عن الحبّ. و كم امتلأت دفاتري بأفكار و مقولات في الحبّ يصعب حشرها جميعها في أعمالي الروائية. كانت نيّتي الأولى جمعها في كتاب واحد. لكنّها غدت أكبر من أن يضمّها كتاب. و حين رحت أفكّر في تقسيمها حسب المواضيع. غدت مقسّمة حسب مراحل الحبّ. أيّ حسب فصوله الأربعة:

فصل اللقاء و الدهشة
فصل الغيرة و اللهفة
فصل لوعة الفراق
فصل روعة النسيان

إنّها رباعيّة الحبّ الأبديّة بربيعها و صيفها و خريفها و أعاصير شتائها. وحده إبراهيم ناجي استطاع أن يختصرها في قصيدة واحدة هي رائعته " الأطلال ".
حين وُلِدَتْ هذه الفكرة أثناء حديث جمعني بصديقتي الغالية المطربة جاهدة وهبي. فكّرنا أن يكون كلّ كتاب مرفقًا بأغانٍ تناسب فصله العاطفيّ. فجاهدة التي لحّنت و غنّت لي أربعة عشر نصًّا شعريًّا. تملك لي أرشيفًا غنائيًّا يغطّي الفصول الأربعة و يزيد.
و هكذا تحوّل المشروع من كتاب إلى سلسلة من أربعة كتب عن الحبّ. لن تكون جميعها موجّهة حصريًّا للنساء، في الفصول القادمة سيكون للرجال مساحة أكبر. و إن كان هذا

الفضاء سيظلّ بالدرجة الأولى نسائيًّا بنيّة رفع الغبن العاطفيّ عنهن بصفتهن أولى ضحايا الحبّ !
لقد تحمّستُ لهذا المشروع إلى حدّ سَرَقْتُ من عملي الروائيّ (الذي أصبح جاهزًا تقريبًا) ثلاثة أشهر لكتابة هذا الكتاب.
إن بقيت على هذا الحماس ربما تمكّنت في حدود السنة إنجاز هذه السلسلة (قولوا إن شاء الله).
لماذا اخترت النسيان فصلًا أوّلًا و ليس اللقاء؟
لأن على النسيان يُؤسّس الحبّ ذاكرته الجديدة. و من دونه لا يمكن لحبّ أن يولد. [و لأنّه الفصل الذي يتفوّق فيه علينا الرجال, و يذهلوننا بقدرتهم على التعافي و الشفاء. بينما تترك بعض النساء سنوات من أعمارهن، فائض قيمة إضافيّة.. ثمنًا لنسيان رجل سبق لحبّه أن أخذ منهن سنوات أخرى].
كتبْتُ هذا الكتاب و حولي نساء يخضن معارك بالسلاح الأبيض مع الماضي. صديقات يستنجدن بي لفضّ الاشتباك بينهن و بين الذكريات. كما لو كنت " رجال القبعات الزرقاء" المكلّفين من جمعيّة الأمم بالفصل بين طرفي نزاع.
لأولئك النساء المعذّبات, ما كان يمكن أن أقدّم كتابًا في الحبّ و هنّ ينزفن بجروح الماضي كان لا بدّ أن يتعافين تمامًا - كما الرجال - أن يتقبّلن فكرة أن ينسين أخيرًا مثلهم, ما دام النسيان في متناول الجميع. كي يغادرن شتاء الحبّ إلى ربيعه.

[طلـــب أســـتاذ يابـــاني مـــن تلاميـــذه تعريـــف الـــثلج. أحـــدهم أجـــاب " إنّـــه بدايـــة الربيـــع ". كـــان التلميـــذ مـــشروع شـــاعر. و كـــان بـــذلك التعريـــف يختـــصر لنـــا مـــيلاد الحـــبّ مـــن صـــقيع النهايـــات و الخيبـــات. أيّ ممّـــا ســـيذيبه النـــسيان غـــدًا و يغـــذّي بجداولـــه مروج الحبّ الجديد]

* * *

واذا التأم جرح   جد بالتذكار جرح

فتعلم كيف تنسى   و تعلم كيف تمحو

ابراهيم ناجي

ليشهد الأدب أنّني بلّغت!

الحبّ مثل الموت وعد لا يردّ و لا يزول

محمود درويش

أكبر لغزين في الحياة هما قطعًا الموت والحبّ.
كلاهما ضربة قدر صاعقة لا تفسير لها خارج (المكتوب).
لذا، تتغذّى الأعمال الإبداعيّة الكبرى من الأسئلة الوجوديّة المحيّرة التي تدور حولهما.
ذلك أنّ لا أحد يدري لماذا يأتي الموت في هذا المكان دون غيره، ليأخذ هذا الشخص دون سواه، بهذه الطريقة لا بأخرى، و لا لماذا نقع في حبّ شخص بالذات . لماذا هو ؟ لماذا نحن ؟ لماذا هنا ؟ لماذا الآن ؟
لا أحد عاد من الموت ليخبرنا ماذا بعد الموت. لكن الذين عادوا من " الحبّ الكبير " ناجين أو مدمّرين، في إمكانهم أن يقصّوا علينا عجائبه، ويصفوا لنا سحره وأهواله، وأن ينبّهونا إلى مخاطره ومصائبه، لوجه الله .. أو لوجه الأدب.

إذا لم يكن للأدب في حياتنا دور المرشد العاطفيّ من يتولاه إذن ؟
ومن يعدّنا لتلك المغامرة الوجدانيّة الكبرى، التي ستهزّ كياننا عندما لا نكون مهيّئين لها. وستواصل ارتجاجاتها التأثير في أقدارنا و خياراتنا، حتى بعد أن ينتهي الحبّ ويتوقف زلزاله.
إن كانت الهزّات العاطفيّة قدرًا مكتوبًا علينا، كما كُتِبَتْ الزلازل على اليابان، فلنتعلّم من اليابانيين إذن، الذين هزموا الزلزال بالاستعداد له، عندما اكتشفوا أنّهم يعيشون وسط حزامه.
يمرّ زلزال خفيف على بلد عربي، فيدمّر مدينة عن بكرة أبيها، ويقضي على الحياة فيها لسنوات عدة. ذلك أنّ الإنسان العربي قدريّ بطبعه، يترك للحياة مهمّة تدبّر أمره، و في الحياة كما في الحبّ لا يرى أبعد من يومه. وهو جاهز تمامًا لأن يموت ضحيّة الكوارث الطبيعيّة أو الكوارث العشقيّة، لأنّه يحمل في تكوينه جينات التضحيات الغبيّة للوطن و للحاكم المستبد.. و للعائلة و الأصدقاء و للحبيب.
و تصمد جزر اليابان يوميًّا في وجه أقوى الزلازل. كلّ مرة تخرج أبراجها واقفة و أبناؤها سالمين. عندهم يعاد إصلاح أضرار الزلازل في بضعة أيام. و تعدّ الخسائر البشرية بأرقام مقياس ريختر.. لا بقوّته. فقلّما تجاوز الضحايا عدد أصابع اليد.
صنعت اليابان معجزاتها بعقلها، و صنعنا كوارثنا جميعها بعواطفنا.

ماذا لو أعلنّا الحبّ كارثة طبيعيّة بمرتبة إعصار أو زلزال أو حرائق موسميّة. لو جرّبنا الاستعداد لدمار الفراق بتقوية عضلة قلبنا الذي صَنعَتْ سذاجته و هشاشته الأغاني العاطفيّة و الأفلام المصرية التي تربّينا عليها.

كما المباني اليابانيّة المدروس عمارها ليتحرّك مع كلّ هزّة علينا أن نكتسب مرونة التأقلم مع كلّ طارئ عشقيّ. و التكيّف مع الهزّات العاطفيّة و ارتجاجات جدران القلب التي تنهار بها تلك الأشياء التي أثثنا بها أحاسيسنا. و اعتقدنا أنّها ثابتة و مسمّرة إلى جدران القلب إلى الأبد.

علينا أن نربّي قلبنا مع كلّ حبّ على توقّع احتمال الفراق. و التأقلم مع فكرة الفراق قبل التأقلم مع واقعه. ذلك أنّ في الفكرة يكمن شقاؤنا.

ماذا لو جرّبنا الاستعداد للحبّ بشيء من العقل ؟ لو قمنا بتقوية عضلة القلب بتمارين يوميّة على الصبر على من نحبّ. أن نقاوم السقوط في فخاخ الذاكرة العاطفيّة التي فيها قصاصنا المستقبلي. أن ندخل الحبّ بقلب من " تيفال ". لا يعلق بجدرانه شيء من الماضي. أن نذهب إلى الحبّ كما نغادره دون جراح، دون أسًى، لأنّنا مصفّحين ضدّ الأوهام العاطفيّة. ماذا لو تعلّمنا ألّا نحبّ دفعة واحدة، و ألّا نعطي أنفسنا بالكامل، وأن نتعامل مع هذا الغريب لا كحبيب، بل كمحتل لقلبنا وجسدنا وحواسنا، ألّا يغادرنا احتمال أن يتحوّل اسمه الذي تنتشي لسماعه حواسنا، إلى اسم لزلزال أو إعصار يكون على يده حتفنا و هلاكنا ؟

أيّتهـــا العاشـــقات الـــساذّجات، الطيّبـــات، الغبيّـــات.. ضـــعن هـــذا القول نصب أعينكن: "ويل لخلّ لم ير في خله عدوًّا".
ليشهد الأدب أنّني بلّغت !

توضيح للرجال المتسلّلين إلى هذا الكتاب:

أيّها " الرجال الرجال " سنصلي للّه طويلًا كي يملأ بفصيلتكم مجددًا هذا العالم , و أن يساعدنا على نسيان الآخرين !

ليس هذا " مانيفست" نسويّ ".
إنّه جردة نسائيّة ضدّ الذكورة دفاعًا عن الرجولة. تلك الآسرة التي نباهي بوقوعنا في فتنتها. لأنّ من دونها ما كنّا لنكون إناثًا و لا نساءً.
من قال أنّنا نهجس بتلك الفحولة التي تباع في الصيدليات. أو تلك الذكورة النافشة ريشها التي تفتح أزرار قمصانها لكي تبدو السلاسل الذهبيّة الضخمة و ما فاض من غابات الشعر و تضع في أصابعها خواتم بأحجار لافتة للنظر. رجولة الساعات الثمينة و السيجار الفخم التي تشهر أناقتها و عطرها و موديل سيارتها و ماركة جوّالها، كي تشي بفتوحاتها السابقة و تغرينا بالانضمام إلى قائمة ضحاياها.
ما نريده من الرجال لا يُباع، و لا يُمكن للصين و لا لتايلاند أن تقوم بتقليده، و إغراق الأسواق ببضاعة رجالية تفي بحاجات النساء العربيّات.
ذلك أن الشهامة و الفروسيّة و الأنفة و بهاء الوقار و نبل الخُلق و إغراء التقوى و النخوة و الإخلاص لامرأة واحدة و الترفع عن الأذى و ستر الأمانة العاطفيّة و السخاء العشقيّ

الموجع في إغداقه و الاستعداد للذود عن شرف الحبيبة بكلّ خليّة و حتى آخر خليّة و مواصلة الوقوف بجانبها حتى بعد الفراق.
تلك خصال لعمري ليست للبيع. بل إنّ مجرد سردها هنا يدفع للابتسام، و يشعرنا بفداحة خساراتنا و ضآلة ما في حوزتنا.
أين ذهب الرجال ؟ الكلّ يسأل.
اختفاء الرجولة لم يلحق ضررًا بأحلام النساء و مستقبلهن فحسب، بل بناموس الكون و بقانون الجاذبيّة.
ما الاحتباس الحراري إلّا احتجاج الكرة الأرضيّة على عدم وجود رجال يغارون على أنوثتها. لقد سلّموها كما سلّمونا " للعلوج "، فعاثوا فينا و فيها خرابًا و فسادًا.
لتتعلّم النساء من أمّهن الأرض، لا أحد استطاع إسكاتها و لا إبرام معاهدة هدنة معها. ما فتئت تردّ على تطاولهم عليها بالأعاصير و الزوابع و الحرائق و الفيضانات. هي تعرف مع من تكون معطاءة و على من تقلب طاولة الكون.
ليعقدوا ما شاؤوا من المؤتمرات ضدّ التصحّر و التلوث و ثقب الأوزون و الاحتباس الحراري. ليست الأرض مكترثة بما يقولون. هي تدري أنّ الرجولة لا تتكلّم كثيرًا، لا تحتاج إلّا أن تكون فيستقيم بوجودها ناموس الكون.
الرجولة.. أعني تلك التي تؤمن إيمانًا مطلقًا لا يراوده شكّ أنّها وجدت في هذا العالم لتعطي لا لتؤذي. لتبني و تحبّ و تهب.
الرجولة... في تعريفها الأجمل تختصرها مقولة كاتب فرنسي " الرجل الحقيقي ليس من يغري أكثر من امرأة بل الذي

يغـري أكثـر مـن مـرّة المـرأة نفـسها ".. التـي تـؤمن بـأنّ العـذاب لـيس قـدر المحبّـين و لا الـدمار ممـرًّا حتميًّـا لكـلّ حـبّ و لا كـلّ امـرأة يمكـن تعويـضها بـأخرى. و أنّ النـضال مـن أجـل الفـوز بقلـب امـرأة و الحفـاظ عليـه مـدى العمـر هـي أكبـر قـضايا الرجـل و أجملها على الإطلاق. و عليها يتنافس المتنافسون.

هـذا الكتـاب يـسمح لمـن تـسلّل مـن الرجـال هنـا، أن يـتعلّم مـن أخطـاء غيـره مـن " الـذكور " مـن بـاب " تعلّـم الأدب مـن قليـل الأدب ".

علـيهم أن يتعلّمـوا الحـبّ مـن قليلـي الحـبّ. أن يعتبـروا بمـصائر الكـاذبين و الخونـة و المتـذاكين و الأنـانيّين. و ليأخـذوا علمًـا أنّ النساء استيقظن من سباتهن الأزلي.

أمّـا الرجـال الحقيقيّـون فأعتـذر لهـم. أحـبّ إثـم ذكـائهم. فأنـا واثقـة أنّهـم سـينجحون فـي رشـوة النـساء بمـا يملكـون مـن وسـائل " رجالية " لا تصمد أمام إغراءاتها امرأة.

لمزيـد مـن الاعتـداد بـالنفس و الـسخرية، سـيكلّفون امـرأة بإحـضار هـذا الكتـاب المحظـور علـيهم. كـي يـضحكوا فـي سـرّهم قبـل حتـى أن يقـرؤوه. فهـم يـدرون أنّ المـرأة كالـشعوب العربيّـة تتـآمر علـى قـضيّتها. و تخـون بنـات جنـسها ولاءً منهـا لـوليّ قلبها: الرجل.

لـذا كـلّ مكاسـب المـرأة عبـر التـاريخ كانـت بفـضل فرسـان منقذين نبّهوها إلى خدعة الذكورة.

سـنظلّ نحلـم أن تكـون لنـا بهـؤلاء الرجـال قرابـة. أن نكـون لهـم أمّهات أو بنات.. زوجات أو حبيبات.. كاتبات أو ملهمات.

أولئك الجميلون الذين يسكنون أحلامنا النسائيّة. الذين يأتون ليبقوا.. و يطمئنوا.. و يمتّعوا.. و يذودوا. ليحموا و يحنوا و يسندوا.. الذين ينسحبون ليعودوا. و لا يتركون خلفهم عند الغياب كوابيس و لا جراح و لا ضغينة. فقط الحنين الهادر لحضورهم الآسر, و وعدًا غير معلن بعودتهم لإغرائنا كما المرّة الأولى.

+ كم من مرّة سنقع في حبّهم بالدوار ذاته، باللهفة إيّاها. غير معنيّات برماد شعرهم و بزحف السنين على ملامحهم.
ليشيخوا مطمئنين. لا الزمن , لا المرض, لا الموت , سيقتلهم من قلوبنا نحن " النساء النساء ".
كيف لحياة واحدة أن تكفي لحبّ رجل واحد ؟
كيف لرجل واحد أن يتكرّر.. أن يتكاثر بعدد رجال الأرض.

* * *

" ما أندر الرجال الذين نفشل في نسيانهم، و لكن إذا مرّ أحدهم بصفحة الروح، دمغها إلى الأبد بوشمه "

غادة السمان

شبهة النسيان

للحبّ طعنة خرساء، و لنسيانه نهر من الخناجر

فوزية السندي

تكتبين روايات و قصائد في الحبّ, و لا يسألك أحد في من كتبتها. و لا هل يحتاج المرء حقًّا كلّ مرّة أن يحبّ ليكتب عن الحبّ. (لو كان نزار حيًّا لأضحكه السؤال. فالشاعر العربي الذي كتب خمسين ديوانًا في الحبّ. لم يحبّ سوى مرّات معدودة في حياته) ذلك أنّ ذكرى الحبّ أقوى أثرًا من الحبّ، لذا يتغذّى الأدب من الذاكرة لا من الحاضر.

لكنّك تقولين أنّك تكتبين كتابًا عن النسيان و يصبح السؤال " من تريدين أن تنسي " ؟

\+ لكأنّ النسيان شبهة تفوق شبهة الحبّ نفسه. فالحبّ سعادة. أمّا السعي إلى النسيان فاعتراف ضمني بالانكسار و البؤس العاطفي. و هي أحاسيس تثير فضول الآخرين أكثر من خبر سعادتك. لكن الاكتشاف الأهم هو أن المتحمّسين لقراءة " وصفات للنسيان " أكثر من المعنيّين بكتاب عن الحبّ. النساء و الرجال من حولي يريدون الكتاب نفسه. أوضّح للرجال "

و لكنّه ليس كتاب لكم "... يردّون " لا يهم في جميع الحالات نريده "!

كلّ من كنت أظنّهم سعداء، انفضحوا بحماسهم للانخراط في حزب النسيان. ألهذا الحدّ كبير حجم البؤس العاطفي في العالم العربي؟!

لا أحد يعلن عن نفسه. الكلّ يخفي خلف قناعه جرحًا ما، خيبة ما، طعنة ما، ينتظر أن يطمئن إليك ليرفع قناعه و يعترف: ما استطعت أن أنسى!

أمام هذه الجماهير الطامحة إلى النسيان. المناضلة من أجل التحرر من استعباد الذاكرة العشقيّة. أتوقع أن يتجاوز هذا الكتاب أهدافه العاطفيّة إلى طموحات سياسيّة مشروعة. فقد صار ضروريًّا تأسيس حزب عربي للنسيان.

سيكون حتمًا أكبر حزب قومي. فلا شرط للمنخرطين فيه سوى توقهم للشفاء من خيبات عاطفيّة.

أراهن أن يجد هذا الحزب دعمًا من الحكّام العرب لأنّهم سيتوقّعون أن ننسى من جملة ما ننسى , منذ متى و بعضهم يحكمنا , و كم نهب هو و حاشيته من أموالنا. و كم علقت على يديه من دمائنا.

دعوهم يعتقدون أنّنا سننسى ذلك!

اذ أننا نحتاج أن نستعيد عافيتنا العاطفيّة كأمّة عربيّة عانت دومًا من قصص حبّها الفاشلة. بما في ذلك حبّها لأوطان لم تبادلها دائمًا الحبّ. حينها فقط، عندما نشفى من هشاشتنا العاطفيّة المزمنة , بسبب تاريخ طاعن في الخيبات الوجدانيّة. يمكننا مواجهتهم بما يليق بالمعركة من صلابة و صرامة.

ذلك أنّه ما كان بامكانهم الاستقواء علينا لولا أن الخراب في أعماقنا أضعفنا. و لأنّ قصص الحبّ الفاشلة أرّقتنا و أنهكتنا, و الوضع في تفاقم.. بسبب الفضائيّات الهابطة التي وجدت كي تشغلنا عن القضايا الكبرى وتسوّق لنا الحبّ الرخيص و العواطف البائسة فتبقينا على ما نحن عليه من بكاء الحبيب المستبد... و نسيان أنواع الاستبداد الأخرى...

من يشاركني الرأي و يودّ الانخراط في حزب جديد لا ذاكرة له و لا سوابق مصرفيّة و لا تاريخ دموي. و لا شعارات نضاليّة أو أصوليّة بإمكانه الانضمام إلينا في موقع:

www.nissyane.com

ليس في مشروعنا من خطّة سوى مواجهة إمبرياليّة الذاكرة و العدوان العاطفي للماضي علينا..

ليس في جيوبنا وعود بحقائب وزاريّة. فقط نعدكم بأن نحمل عنكم وزر الخيبات. لا نتوقّع دعمًا ماديًّا من أحد لذا نحن فقراء إلى دعواتكم بالخير.

أيها الناس اسمعوا وعوا . لا أرى لكم والله من خلاص الا في النسيان . فلا تشقوا بذاكرتكم بعد الآن . انشقّوا عن أحزابكم و طوائفكم و جنسيّاتكم و مكاسبكم و انخرطوا في حزب جميعنا متساوين فيه أمام الفقدان.

ليخبر القارئ منكم من لم يقرأ هذا الكتاب.

طالبين النسيان

آمن أنّك ستنسى أكثر مما تتمنّى

ألفريد دي موسيه

بالإذن من العزيز مروان نجار صاحب مسلسل "طالبين القرب". إحنا "طالبين النسيان". فهذا عصر المطالب. ثمّة من يطالب بتطبيق الاتفاقيّات الدوليّة. و آخر بإنقاذ الكرة الأرضيّة من مخاطر الاحتباس الحراري و ثالث بوقف الحظر الاقتصادي على كوبا و منع الأطعمة المعدّلة جينيًّا و إيقاف الأبحاث حول الخلايا الجذعيّة. و ثمّة من يطالبك بتغيير لمبات الإضاءة إنقاذًا لمستقبل الأرض. و ترشيد استهلاك المياه حفاظًا على الموارد المائيّة و حماية البيئة بعدم استعمال الأكياس البلاستيكيّة.

أمّا نحن النساء، فجاهزات لترشيد استهلاكنا للبطاقات المصرفيّة و عدم مساءلة الرجال عن هدر ثرواتنا المائيّة. و التنازل عن حصّتنا من الأكسيجين على قلّتها في العالم العربي. كلّ هذا مقابل مطلب واحد:

حمايتنا من عواقب تعلّقنا الغبي ب " كراكيب " الذاكرة العاطفيّة. نحن نطالب بالمساواة في النسيان مع الرجال.

و نقسم بأغلظ الإيمان، أنّنا لن نطالب بعدها بأيّة مساواة أخرى في الأجور، أو فرص العمل.. أو الإرث أو حتى قيادة السيارة.

لا بدّ للعلماء المنهمكين في أبحاث غبيّة لا فائدة من ورائها أن ينكبّوا على حلّ مشكل يعني نصف سكان الكرة الأرضيّة بتعديل جينات الذاكرة النسائيّة حتى يتسنّى لنا يومًا أن ننسى مثلما ينسى الرجال. و نضيء مشاعرنا - بلمبات معتمدة حديثًا في الغرب - أقلّ استهلاكًا للأعصاب و الطاقة و ببطريّات لأحاسيس لا تعمّر طويلًا.

نطالب بتطوير الأبحاث حول الخلايا الجذعيّة - و الجذريّة - إن وجدت علّنا نعرف جذر هذه البلوى... التي تجعلنا محكومات بالوفاء لذكريات تعيش و تعشّش فينا وحدنا.

إنّه نداء نرفعه إلى العلماء. نناشدهم إيجاد علاج للحدّ من تفشي داء الوفاء للماضي لدى إناث الجنس البشري. ذلك أنّ الوفاء مرض عضال لم يعد يصيب على أيامنا إلّا الكلاب... و الغبيّات من النساء!

هكذا تورّطت في هذا الكتاب:

إذا كان الحبّ يملك شفيعًا و قدّيسًا، فالنسيان يحتاج إلى آلهة. من أجل هكذا مصائب وجدت العناية الإلهيّة.. و وجد الأدب.

حين قلت لصديقتي تلك " أحبّيه كما لم تحبّ امرأة و انسيه كما ينسى الرجال "!.
صاحت " يا الله... اكتبيها "!
لكن ما كان لهذه الفكرة أن تكون شعارًا بل نهجًا نسائيًّا تكتسبه المرأة بذكائها الذي هو وليد غباء سابق.
نصيحة بعد أخرى ولد من مكالماتنا الهاتفية ومواساتي لها ما سيصبح كتابًا. كنت أكتب ليلًا ما أقول لها في النهار. فقد وجدت ما أقوله لامرأة يستحقّ أن تأخذ علمًا به جميع النساء. بعد أن تعبتُ من نجدة حلقة الصديقات و قبيلة القارئات اللائي يعشن بالتناوب أسى الخيبات العاطفيّة.
بدأ الأمر مزحة فقد تطوّعت كلّ واحدة بإمدادي بنصائحها و خلاصة " حكمتها ".
رحت أهدي صديقتي تلك أخطائي و أخطاء النساء من حولي. أبحث في تلك الحفريّات العاطفيّة التي تراكمت خلال الأزمنة الجيولوجيّة و شكّلت مخزون السذاجة الأنثويّة عن أسباب تطابق الخيبات النسائيّة و تشابه النماذج الرجالية.

عندها أصبح مطلب الصديقات أن أصدر كتابًا يكون " دليلًا نسائيًّا للنسيان ". خاصّة صديقتي الغالية الدكتورة هنادي ربحي مديرة مكتب الارادة للاستشارات والأبحاث النفسية في دبي. و التي كانت قد اتصلت بي قبل خمس سنوات تدعوني إلى لقاء مع مرضاها الذين كانت تعالجهم بكتاباتي ثمّ عندما تعرّفت عليّ احتارت في علاجي من حماقاتي.

و كنت قبل مدّة عثرت على روايتي " فوضى الحواس " تباع في صيدليّة في شارع الحمراء. مع كتب الحمية و علاج السكري و أمراض الشرايين و القلب.

لفرط مفاجأتي اشتريتها أمام اندهاش الصيدلي. و من جنوني رحت مساءً أقرؤها عساها تشفيني من مرض نفسيّ ما فمنذ سنوات ما عدت كاتبتها.

و بالمناسبة، إنّ العلاج بالقراءة الانتقائيّة هو أحدث طرق العلاج النفسي. حتى أنّه صدر مؤخرًا في باريس كتاب يضمّ مئة عنوان لرواية عالميّة مقسّمة حسب احتياجات كلّ حالة نفسية يمرّ بها القارئ.

ذلك أنّ قراءة كتاب في غير الظرف النفسي الموافق له، قد يكون فيه أذًى نفسيًّا يعادل تناولك أدوية مضرّة بصحتك. لذا في قسمه الثاني يدلّك هذا الكتاب على عناوين الروايات التي ينبغي عليك عدم قراءتها عندما تكون في حالات نفسيّة معيّنة.

يبقى أنّ العلاج المثالي لكلّ أوجاع القلب هو الضحك. و عدم أخذ الذاكرة مأخذ الجدّ.

هـذا كتـاب كتبـتُ كثيـرًا مـن وصـفاته و أنـا أضـحك مـلء قلبـي كمـا فـي تلـك الجلـسات الجميلـة جـوار المدفئـة فـي بيـت صـديقتي الكبيـرة بارعـة الأحمـر. فبارعـة التـي ترجمـت أعمـالي إلـى الانكليزيـة تبـرع فـي قـراءة أحاسيـسي و التوحّـد معـي حزنًـا و بهجـة حـدّ الانـصهار الوجـداني حتـى مـا عـدنا نـدري أيّنـا تتـرجم الأخـرى. و يحـدث أن تنـضمّ إلينـا صـديقة ثالثـة امـرأة بجمـال و ثقافـة عاليـة و بكبريـاء طـاغٍ. بالمناسـبة الكبريـاء هـي الصفة المشتركة لصديقاتي.

ربمـا أكـون كتبـت هـذا الـدليل - أيـضًا - لنفـسي. علّنـي أعـود إليـه و أقـرؤه يومًـا. بـل أنـا التـي أكـره أن أقـرأ كتابًـا لـي بعـد أن يـصدر (حتـى لا تعـذّبني الرغبـة فـي إعـادة كتابتـه) أجـزم أنّنـي سـأكون أوّل مـن يهجـم عليـه حـال صـدوره. عـساني أسـتفيد و لو من نصيحة واحدة وردت فيه .

ذلـك أنّنـي أولـى بالنـصح مـن قارئـاتي. لكـن كمـا تقـول أمّـي " خلّات راجلها ممدود و راحت تعزّي في محمود ! ".

إذا كانـت النـصيحة بجمـل أكـون قـد أهـديتكن لوجـه الله.. و نكاية في بعض الرجال قافلة من الجمال.

و مـا أبقيـت لـي والله علـى ناقـة و لا جمـل. كـأنّ هـذا الكتـاب أعطاني وهم أن أكون طاعنة في الحكمة !

لا أطمـع فـي غيـر دعـواتكنّ لـي بـالخير. و لاحقًـا بالرحمـة. فأنـا أعتبـر هـذا الكتـاب صـدقة جاريـة و أثـق أنّـه سـيكون أكثـر كتبـي قـراءة نظـرًا لمـا أتوقعـه مـن ازدهـار حـالي و مـستقبلي للخيبـات النـسائيّة.. و الخيانـات الرجاليـة. و هـو مـا يـسعدني و يـؤلمني في آن.

لكون هذا الدليل ليس واحد من أعمالي التي استغرقت كتابتها ثلاث سنوات و أكثر. و التي كتبت بعض فصولها و أنا أبكي دفاعًا عن تلك القضايا الكبرى و المفلسة التي آمنت بها.

هذا الكتاب فتح شهيّتي للضحك حتى أنّي كثيرًا ما قمعتُ نزعتي للسخرية السياسيّة أو النسائيّة كي لا يمنع في جلّ البلاد العربيّة. فحتى قبل صدوره غير هذا الكتاب قدر الكثيرات من حولي . أولهن الصبية التي تطوعت لطباعته حبا لي , وطمعا في النسيان مكتفية به مكسبا . فمع كل مقال كنت أبعثه لها كانت تعيد النظر في خياراتها السابقة .

بفضل تواطئها الجميل والحاحها كل يوم على أن أزودها بما كتبته منحتني – أنا المعروفة بكسلي – ما كان ينقصني من حماس لانجازه في ثلاثة أشهر مضحيّة بهوسي بإعادة قراءة مخطوطاتي أكثر من مرّة حدّ ملاحقة المخطوط حتى المطبعة. غير آبهة بمن سيفتح هذا الكتاب شهيتهم للشهرة مشهرين بي .

فقد أردته هديّة لنساء غوانتنامو الحب القابعات في معتقل الذاكرة دون محاكمة عن تهمة لا يعرفها الا السجان!

و أردته خاصة تحدّيًا نسائيًّا أرفعه تجاه نفسي. بعد أن أصبح شعاري " بلى أستطيع ذلك " فيكفي أن تكسب المرأة معركتها الأولى حتى لا يعد بإمكان أحد أن يهزمها.

هل فهمتن الرسالة؟

***

هاتف النسيان

لا تبكـيّن علـى الطلـــــــــل و علــى الحبيــب إذا رحــل
و اقطــعِ مــن الـــرحم الـــذي بـــك فـــي المناســبة اتــصل
سيّان عنـدك فلـــــــــيكن مـن لـم يـصلك و مـن وصـل

من "الوصايا المضادة"لأبي نواس

صديقتي التي تخاف أن تنسى

شهران على فراقنا ....قرن و بضع دقائق

لـي صـديقة تعـيش عـذاب القطيعـة العاطفيّـة. مـع كـلّ مـا يرافقهـا مـن حمّـى الـروح و مـن هـذيان تلـك الأسـئلة التـي لا جـواب لهـا لكونها تلي الانشطار العشقي الصاعق في مفاجأته.

كانـت مطمئنـة إلـى رجـل حياتهـا. تملـك مؤونـة أربـع سـنوات مـن الـذكريات. و مفكـرة بيـضاء وعـدها أن يملآهـا معًـا حتـى آخـر يـوم مـن عمرهمـا بالمـشاريع الثنائيّـة الجميلـة. كانـت الأثـرى بيننـا فقـد مـلأ الرجـل جيـوب قلبهـا وعـودًا حتـى زهـدت فـي كـلّ شـيء عـداه. كـان سـيّدها و مولاهـا. كـان نـشرتها الجويّـة و بوصلتها في الكون. فعذرنا انقطاعها عنّا نحن الصديقات.

كانت تعيش حبًّا نحسدها عليه سرًا. ثمّ ذات صدمة بدأ عذابها.

واذ بها تمضي نحو جحيم لا نستطيع فيه شيئًا من أجلها.

راحـت تمـوت أمامنـا، لأن الـذي وضـعت خـصاله فـوق الرجولة. وعواطفه فوق الحبّ نفسه. و بايعته نبيًّا.. غدر بها.

دون مقـدمات. دون شـروح أو توضـيحات. توقّـف هاتفـه عـن النبض بنوايا إجراميّة معلنة لاغتيالها صمتًا.

أشـــهر و هـــي معلّقـــة إلـــى مـــصل هـــاتف خـــارج الخدمـــة، صـــاحبه يعيش في بلاد أخرى.

لـــم تكـــن فـــي منتـــصف عمـــر الحـــبّ. كانـــت علـــى مـــشارف " أســـطورة حـــبّ ". ترتـــدي بغبـــاء أنثـــى قمـــيص الانتظـــار ولا تريـــد أن يفـــكّ أزراره ســـواه، الإغـــداق بالنـــصائح لا جـــدوى منـــه في هذه الحالة فهي واثقة من عودته.

دليلهـــا ذكريـــات و " ميـــساجات " و وعـــود و لا تريـــد أكثـــر مـــن أن يؤكّد لها أحد هذا !

فـــي البـــدء كنـــت أطمئنهـــا إلـــى أوهامهـــا، حتـــى لا أزيـــد مـــن ألمهـــا. فقـــد كانـــت تـــسرد علـــيّ قـــصتها كأســـطورة عـــشقيّة بتفاصـــيلها المذهلـــة جمالًـــا. فكـــلّ عاشـــق يحتـــاج إلـــى صـــنع خرافتـــه الشخـــصيّة. لكن قصتها كانت في تفاصيلها حقًّا أقرب للخرافة.

حـــين زرتهـــا أرتنـــي الكـــمّ المـــذهل مـــن البطاقـــات الهاتفيّـــة التـــي تحـــدّث بهـــا إليهـــا خـــلال أربـــع ســـنوات. كـــلّ بطاقـــة تغطّـــي ثـــلاث ســـاعات مـــن الكـــلام. و بإمكـــان عـــشرات البطاقـــات التـــي تحـــتفظ بهـــا أن تغطّـــي لـــو وضـــعت الواحـــدة بجـــوار الأخـــرى المـــسافة الفاصلة بين لندن و بيروت.

ليس ثمّة شك لقد أحبّها هذا الرجل. حقًّا.

ســـعدت باســـتنتاجي كأنّهـــا كانـــت تحتـــاج رأيـــي كـــي تتأكّـــد أنّهـــا لـــم تحلـــم ولا هـــي توهّمـــت. دبّ فيهـــا الحمـــاس. فتحـــت هاتفهـــا تقـــرأ عليّ رسائله التي تعود إلى الزمن الأوّل:

" أحبّـــك كـــلّ حـــين حتـــى و أنـــا نـــائم "

" كلّما نـسيتني اسـتيقظت حتـى و أنـا فـي نـومي "

" أن تختفي ثانية يعني أن أموت إيّاك أن تختفي "

" أحتـــــــاج صـــــــوتك كـــــــي أرى "

أسألها:

- أيكون مات لا قدّر الله ؟

تردّ بإحراج:

- لا.. رقمه يدقّ!
- ربما أصيب من غير شرّ بالعمى ؟

تجيب باستحياء:

- لا هو دائم التواجد على الإنترنت.
- و منذ متى لم يستيقظ من سباته الشتويّ و يهاتفك ؟

تمتمت:

- آخـر مـرّة كلّمنـي كانـت فـي 6 حزيـران عنـد الـساعة الرابعـة عصرًا...
- أوتعتقـدين أنّـه يحفـظ اليـوم و الـساعة التـي كلّمـك فيهـا لآخـر مرة منذ سبعة أشهر ؟

ترتبك:

- لا أدري..
- لـو هاتفـك اسـأليه مباشـرة قبـل أيّ سـلام أو كـلام متـى بالـضبط تحـدّثنا معـا لآخـر مـرة ؟ و فـي أيّ يـوم مـن أيّ شـهر كـان لقاؤنـا الأخيـر ؟ إن تهـرّب مـن الإجابـة أو أخطـأ فـي تحديـد التـاريخ.. اقطعـي مباشـرة المكالمـة ولا تـردّي على هاتفه ما حييت.

الحـبّ لا يقـاس بعـدد الـساعات التـي كلّمـك فيهـا بالبطاقـات الهاتفيّـة. بـل بـالزمن الـذي فـي انتظـاره كنـت تحـسبين

أشهره و أسابيعه و أيامه بالساعات. وحده الوفاء يملك عدّادًا دقيقًا للوقت. إنّه النخاع الشوكي للذاكرة.

كما توقّعت، راحت تدافع عنه كما تدافع ضحيّة عن جلادها.

- ربما كان هو أيضًا يحسب الوقت كما أحسبه أنا. يحدث للعشّاق أن يختلفوا و يعيشوا قطيعة قصيرة أو طويلة لكنّهم لا ينسون و لا يخونون. مثله لا ينسى.
- إن لم يخنك فقد خان اللّهفة. إنّ رجلًا استطاع أن يعيش سبعة أشهر كنت خلالها خارج مفكرّته يعني أنّك ما عدت ضمن اهتماماته، عليك أن تضعيه بدورك خارج حياتك.

بدت متردّدة و غير مصدّقة أنّه نسيها حقًّا. أمام صمتها المتعاطف معه أخذت ورقة، و رحت أحسب لها على الورق ما أراه شخصيًّا خيانة.

عزيزتي.. لقد نام هذا الرجل و استيقظ خلال سبعة أشهر (عدا قيلولته اليوميّة) مئتيّ و عشرة مرات، لم يشعر خلالها لا ليلًا و لا صباحًا لا عند غفوته و لا عند استيقاظه بحاجة عاشق لسماع صوتك.

و تناول خلال هذه المدّة ثلاث وجبات في اليوم أيّ ستمئة و ثلاثين وجبة بالتمام و الكمال من دون أن يشعر أنّ غذاءً روحيًّا ينقصه و أنّه يحتاج أن يقتات بك ليحيا.

و مرّ به أثناء ذلك صيف و خريف و شتاء فلا فصل هزمه بحرّه و لا بثلجه فعاد ليستعين بك عليه.

دبّ فيها حماس مفاجئ.. قالت:

- بلى، لقد ردّ على معايدتي برسالة قال فيها " لا أستعين بغيرك على النساء و البرد ".
- و منذ متى لم تلتقيا؟
- منذ 20 يناير الماضي...
- أو تعتقدين أنّ رجلًا لم تلتق به منذ أحد عشر شهرًا قد التحق بالدير في غيابك و أصبح راهبًا يستعين بذكراك على النساء و البرد اللندنيّ. و أنّه منذ ذلك الحين معلّق على جدار كصورة لا امرأة عبرت أو مرّت بحياته. لا امرأة جلست إلى طاولته أو تمدّدت على سريره أو تركت صوتها على هاتفه.. أو قاسمته على الإنترنت صباحات الضجر و ليالي السهر في مدن الصقيع.

اجلسي إلى نفسك و واجهيها بهذا السؤال:

لو قلت لك أنّني أثق في وفاء رجل يرفض الردّ على مكالماتي منذ سبعة أشهر و لم ألتق به منذ سنة.. أما كنت أشفقت عليّ من سذاجتي !

دمعت عيناها و لم تقل شيئًا.

مزيج من الكبرياء و الغباء يجعلانها ترفض تصديق احتمال خيانة من تحبّ. فنحن نحكم على وفاء من نحبّ بقدر منسوب وفائنا.

ثمّ إنّ اعترافها بأنّ تلك القصة " الأسطوريّة " انتهت هو اعتراف ضمني بهدرها أربع سنوات من عمرها أيّ: **<u>من أجل لا شيء.</u>**

48 شهرًا...
1460 يومًا..
35040 ساعةً...
2.102.400 دقيقةً. من أجل لا شيئ
يــا الله! أكثــر مــن مليــوني دقيقــة لــم تبــق منهــا دقيقــة واحــدة لقــول كلمة واحدة تعيد للحبّ الحياة !
أي حــبّ هــذا الــذي يجرفــك طوفانــه حــين يجــيء. و يقتلــك ظمــأً حــين يــذهب. فــلا يملــك مــن أجلــك قطــرة وفــاء للماضــي تبــرّر هــذا الهدر و إثم نزيف الزمن السائب في عمر امرأة.
تركــت لهــا علــى ورقــة جــردة بأرقــام خــساراتها فــي بورصــة الحبّ. عساها تتعلّم ألّا تستثمر في المشاريع الوهميّة.
فــأربع ســنوات فــي حيــاة امــرأة أربعينيّــة هــي ثــروة زمنيّــة أغلــى من أن تستعاد.
صــديقتي هــذه نمــوذج لآلاف النــساء العربيّــات اللائــي يقــدّمن ســنوات مــن عمــرهنّ قربانًــا لرجــل لــم يقــدّم لهــنّ ســوى الوعــود. و يــرين الحــبّ ارتهانًــا لــشخص لــيس بالــضرورة رهينــة لهــن بــل لمزاجه و أفكاره المسبقة و عقده و تطلعاته الشخصيّة.
رجــل كــالزواحف يــتخلّص مــن جلــده و مــن ماضــيه دون عنــاء. و وحــدها المــرأة تعــيش مزدحمــة بكراكيــب الــذاكرة. تحفــظ التــواريخ عــن ظهــر قلــب. و تحــتفظ بالرســائل الهاتفيّــة كمــا لــو كانــت ســندات ملكيّــة. و تعيــد استنــساخ " الرســائل الهاتفيّــة " فــي دفــاتر خاصّــة بــدقائقها و ثوانيهــا كــي تــستعيد الــزمن العــشقيّ و تبــاهي بــه أمــام نفــسها وأمــام الحــبّ. لكأنّهــا كانــت تــدري أنّهــا

ذات يوم لن تملك إلّا ما وثّقت من تفاصيل دليلًا على أنّه حقًا مرّ بحياتها .

يا للغباء. صحت بها :

- هذا الحبّ يتناقص كلّ يوم، و عمرك أيضًا. إنّ حبًّا مفقودًا أفضل من حبّ منقوص. اخلعي عنك حداد هذا الرجل. و خذي قرارًا بينك و بين نفسك بإنهاء هذه العلاقة. فأيًّا كان ثمن إنهائها لن يكون أكثر من شقاء بقائك هكذا " شردودة لا مطلّقة و لا مردودة " حسب قول أمي.

ثمّ إن لم تحسمي هذا الأمر اعلمي أنّك ستخسرينني فما عاد مزاجي يتقبّل استكانة امرأة و استعدادها للتضحيات الغبيّة.

في الغد هاتفتني على غير عادتها عند الساعة التاسعة صباحًا. كنت ما أزال نائمة، فأنا أسهر طويلًا للكتابة.

قالت:

- أهاتفك لأقول لك أنّني عملت بنصيحتك. أخذت ليلًا قرارًا بأن أنساه و أردت أن تعرفي بذلك.
- أما كان بإمكانك أن تزفّي لي هذا الخبر لاحقًا؟!

ردّت ضاحكة:

- في الواقع ما زلت أستيقظ عند الساعة إيّاها التي اعتاد أن يهاتفني فيها لسنوات.
- ما دمت لم تكسري داخلك الساعة البيولوجيّة لحبّه فلن يغادرك هذا الرجل. كأنّك تهاتفينني الآن لتقولي لي عكس ما تودّين قوله !

ردّت على استحياء:

- أعتـــرف مـــا اســـتطعت أن أشـــفى مـــن هـــاتف التاســـعة صـــباحًا.. أو بالأحرى السابعة بتوقيت لندن..
- مـــا دام هـــو قـــد شـــفي بإمكانـــك أيـــضًا أن تـــشفين. لا تـــدعي الـــساعة تـــتحكّم فيـــك.. لـــست كلـــب " بـــافلوف ". اكـــسري هـــذه العادة بعادة أخرى.. كلّمي أحدًا آخر !
- ليس في حياتي أحد.
- لا أصدّق أنّ امرأةً مثلك ليس حولها أحد.
- لا و الله..

جلستُ في سريري و قد راودتني فكرة.

قلت:

- ما رأيك أن أهاتفك أنا كلّ صباح عند التاسعة ؟

صاحت بطفولة:

- واااو... إنّهـــا فكـــرة جميلـــة.. لا أصـــدّق أنّـــك ستـــستيقظين مـــن أجلي !
- لـــيس مـــن أجلـــك مـــن أجـــل النـــسيان. لنتفّـــق أوّلًـــا.. هـــاتفي لـــن يكـــون هـــاتف الحـــبّ.. ســـيكون هـــاتف النـــسيان. كـــلّ يـــوم ســـأقول لـــك عمـــا فعلـــه الرجـــال بنـــساء أخريـــات مـــا يجعلـــك تكرهين هذا الرجل.
- لكنّني لا أريد أن أكرهه.. أريد فقط أن أنساه.
- برغم ذلك ستكرهينه.

صمتت كأنّها أمام خيار ما توقعته.

قلت:

- قرّري أتودين أن أهاتفك بتوقيته أم لا؟

لعلّها كانت تحتاج أن يدقّ هاتفها أخيرًا في ذلك التوقيت، أكثر من حاجتها إلى سماعي. ثمّ كان لديها أمل أن نأتي على ذكره. لكنّني ما كنت من الحماقة لأهاتفها كي أقع في فخ ذكرياتها بدل أن أنسيها إيّاه.
ردّت:

- يسعدني حقًّا أن تهاتفيني.. تدرين أحبّ هذا التواطؤ النسائي..

قلت مازحة:

- أنت لا تدرين ماذا فعلت قبل عشرين سنة في باريس لإنقاذ شغّالتي من بين فكيّ رجل!

صاحت بحماس:

- احكي لي شو عملت..

قلت:

- ستستمعين إلى تلك القصة غدًا.. سأروي لك كلّ يوم قصّة مع الفرق أنّ قصّتي تحكى في النهار لا في الليل.. و أنّني لا أريد بها إنقاذ رأسي من شهريار.. بل الإطاحة بشهريار المعشّش في رأسك.

من يومها كلّ صباح يدقّ " هاتف النسيان " في بيت صديقتي عند الساعة التاسعة.
فأحكي لها بكلّ الكلام المباح عن عمرها المستباح باسم الحبّ!

شغّالتي العاشقة.. و وصفتي السحرية

فقلت لها أكحل و افتــراقُ　　　كأنــــّــك لم يروّعك البعادُ ؟

فقالت: كي تحوّله دموعي　　　فيغدو و هو في خدّي حدادُ

تميم الفاطمي

فــي الأسـبوع الثــاني للنـسيان. لــم أجـد لإنقــاذ صــديقتي الغبيّــة مــن حنينهـــا لجلّادهـــا ســـوى أن أعـــرض عليهـــا وصـــفة قديمـــة للـــشفاء مـــن حبيـــب (أظنّنـــي أملـــك بـــراءة اختراعهـــا) ابتكرتهـــا قبـــل عـشرين سـنة فـي بـاريس عنـدما وجـدت نفـسي أمـام فتـاة جـاهزة للانتحار بسبب قسوة رجل.

" الحاجــة أمّ الاختـــراع " و كانـــت الفتـــاة فعلـًــا بحاجـــة إلـــى ســـند عـــاطفي كـــي لا تنهـــار. قلـــت لأجـــرّب فيهـــا الوصـــفة. فقـــد كنـــت أجــرب فيهــا أيــضًا مــسودّات " ذاكــرة الجــسد " عنــدما تنتهــي مــن الأشـــغال المنزليّـــة و أســـألها كيـــف تجـــد القـــصّة و الحـــوارات. و تناقـــشني المـــسكينة علـــى قـــدر ثقافتهـــا.. و علـــى قـــدر عقلـــي.. فمـــن الواضـــح أنّنـــي مـــا كنـــت ســـويّة. و الآن و أنـــا أكتـــب يحــضرني قــول نــزار فــي مــا كتبــه عــن " ذاكــرة الجــسد " حــين

يقول للغالي الدكتور سهيل إدريس رحمه الله " دعها تجنّ فإنّ الأعمال الإبداعيّة الكبرى لا يكتبها إلّا مجانين ".
سبحان الله.. من أين له هذه النبوءة.. و ما قدمت له يومًا برهانًا على جنوني !
كانت فتاة مغربيّة رسبت في البكالوريا. لا تملك أيّة جاذبيّة. جاءتني بضفائر قرويّة و ملامح جبليّة. كانت تقيم عند قريبتها و تأتي يوميًّا لمساعدتي لبضع ساعات في أشغال البيت و للاهتمام بالأولاد.
ذات يوم وقعت البنت في حبّ رجل سوري لا أدري أين صادفته. كان يعمل أستاذًا في سوريا و أصبح يعمل طرّاشًا في باريس. كان الرجل يملك وسامة مشرقيّة تباهي بها. فقد كانت تحمل صورته أينما حلّت. تدريجيًّا فقدت البنت صوابها. جنّت به حبًّا و غيرة. لكنّ الرجل لم يفقد عقله كان فقط يتسلّى. "رجّال و استحلى" كما يقول اللبنانيّون.
وجدت نفسي متورّطة في قصّتها فقد كانت تطلب منّي أن أكتب رسائل حبّ نيابة عنها (بعد أن اكتشفت موهبتي الأدبيّة !) بينما اكتشف الرجل لاحقًا عندما أرته مقالاتي و صوري في المجلات أنّها تعمل عند كاتبة و أنّ الرسائل المكتوبة إليه أجمل من ساعية البريد ! (و القصّة تستحقّ رواية !)
ذات يوم قرّر التخلي عنها برغم جهدي في تجميلها و قصّ ضفائرها و إهدائها أجمل ثيابي. حتى أقسمت أمي أنّها سحرتني. و إلّا كيف أعفيها من الاهتمام بأطفالي الثلاثة و أكرّس وقتي لخدمتها و كنت أردّ أنّها لو كانت تعرف

السحر لسحرت ذلك الرجل أوّلًا ! ذلك أنّ حالتها أصبحت بائسة و مشفقة حدّ تركي " ذاكرة الجسد " جانبًا. و الانهماك في " كتابة " حياتها العاطفيّة.
كلّما هاتَفَتْه كان يقطع الهاتف في وجهها. و إن دقّت بابه رمى عند الباب بأشيائها حتى بدأت تراودها فكرة الانتحار لمقاصصته بموتها. أو إلحاق أيّ أذى به. فقد كانت البنت بربريّة من الأطلس المغربي.. و تحبّ لأوّل مرة بوفاء و أنفة و شراسة. أيّ مدججة بكوكتيل من العواطف القابلة للانفجار و الدمار !
وصلت معها إلى اتفاقيّة أن تهاتفني كلّما شعرت برغبة في مهاتفته، فأشتمه لها، و ألعن أبوه و أصيح بها " كيف تسمحين لطرّاش أن يفعل بك هذا ؟ من يكون ليقطع الهاتف في وجهك ؟ إنّ دخلك أكبر من دخله. و أصلك أشرف من أصله.. لو كانت له أخلاق لما تصرّف هكذا مع فتاة.. ثمّ أنت التي نفختيه و طلبت منّي أن أكتب له رسائل ما كتبتها جورج صاند لشوبان فراح يظن نفسه فهد بلان (كان المطرب السوري الراحل رمز الرجولة آنذاك).
أهمليه.. دعيه هو يتعذّب و يسأل عنك. ثمّ إنّه موسم التنزيلات. اذهبي إلى ذاك المحل الذي أشتري منه ثيابًا بجانب مدرسة الأولاد. و اشتري ثيابًا جميلة.. حتى إذا رآك المرة القادمة يأكل أصابعه ندامة لأنّه تركك !
طبعًا على الأرجح أنّ الرجل كان منهمكًا في " أكل " ضحيّة جديدة. لكنّني كنت أقول لها أيّ شيء يقوّي من عزيمتها كي تصمد و تنساه.

و حين كانت تزورني بعد ذلك في كلّ أناقتها و يصادف وجود أمي كانت أمي تعايرني طوال السهرة بسببها.

- شفت مرا تبعث خديمتها إلى نفس المحل اللي تشري منو ثيابها.. واش يقولوا الناس ؟
- إحنا في فرانسا يا أمي حتى واحد ما على بالو بيك واش لابسة. و هذي البنت مسكينة كانت رايحة تقتل روحها !
- هذي تقتل روحها ؟ تصيح أمي أنت اللي تقتلي روحك. ذرك تشوفي واش راح يخرج منها " المعلّمة " متاعك !

كانت أمّي تصرّ على أنّي مسحورة و أعمل بدوام كامل " صانعة " عند خادمتي. أمّا زوجي فما كان ليصدّق هذه الهواتف التي أقول أنّها من الشغالة.. فقد كانت تهاتفني من أيّ كابينة تلفون تمرّ بها لتخبرني بمستجدّات قصّتها و لا أستطيع الاتصال بها لاحقًا لأنّ الجوّال لم يكن قد اخترع بعد. فأقضي ما تسع بطاقتها من وقت في الشتم حينًا و الوشوشة حينًا. أتساءل الآن إن كنت يومها في كلّ قواي العقليّة، كيف لامرأة لها ثلاث صبيان أصغرهم عمره سنتين أن تضيف إلى واجبات أمومتها دور الأم تريزا.

ذلك أنّني لا أستطيع إلّا إنقاذ المهاجرات غير الشرعيّات في مراكب الحبّ. عندما يغرّر بهنّ أحدهم و يبعث بهنّ في مركب غير آمن للهجرة نحو أرض العشق الموعودة. ثمّ ينساهن في عرض البحر.

قضيت عمري في انتشال الإناث الغبيّات من قصص الحبّ المغرقة. و ما زلت في هذا الكتاب لا أفعل إلّا هذا.

و هكـــذا طلبـــت مـــن تلـــك الـــصديقة أن تهـــاتفني كلّمـــا راودهـــا الحنـــين إلـــى مهاتفتـــه. فـــأقول لهـــا عـــن الرجـــال مـــا يـــشفيها و ينـــسيها و أعايره لها كما لو كنت أمي !

الاستيقاظ الموجع من الخدر العشقي

لا توقظوا المرأة التي تحب .. دعوها في أحلامها حتى لا تبكي عندما تعود الى الواقع المر .

مارك توين

صباح الخير.. إنّها التاسعة بتوقيت النسيان.
انتهى سباتك الشتوي عزيزتي.
قومي من تحت الردم ..قومي من حزنك قومي . افتحي نوافذ الحياة و إلّا دخل الصقيع إلى قلبك و بقي هناك. كنت غزالة و أصبحت من دببة القطب الشمالي تنامين سبعة أشهر. بأيّة حقنة تمّ تخديرك؟ بالشغف ؟ بالولع ؟ الوله ؟ الهيام ؟ الغرام ؟ الصبابة ؟
تدرين كم للحبّ من اسم ؟ تسعون اسمًا حسب مراتب العشق و جنونه. ستعرفين من مدّة غيبوبتك، في أيّة درجة من العشق كنت حين خلدت إلى النوم على تلك الغيمة القطنيّة البيضاء متوسّدة أحلامك.
ما توقّعتها ستمطر و ترمي بك أرضًا من العلوّ الشاهق للأوهام. لذا ما أخذت معك كما المظليّين ما يضمن نزولك بسلامة. فالسقوط المفاجئ ما كان ضمن حساباتك و الآن قلبك لا يتوقّف عن الإصغاء لصوت ما تهشّم داخلك من أشياء سيصعب عليك ترميمها.

لا تـــدعي منظـــر الخـــراب يـــشوّه مزاجـــك. و يـــشلّ قـــدرتك علـــى الوقـــوف." نقـــع ســـبع مـــرات و نقـــوم ثمانيـــة " يقـــول اليابـــانيون. قـــومي. مـــا ينتظـــرك أجمـــل ممـــا يحـــيط بـــك. اشـــتري أحذيـــة لأحلامك و ستصبح كلّ الطرقات إلى الفرح سالكة.

سدًى تنتظرين.

لا الحـــبّ يـــستطيع مـــن أجلـــك شـــيئًا و لا النـــسيان. لا زوارق فـــي الأفق.. غادري مرفأ الانتظار.

هو لن يعود طالما أنت في انتظاره.

أنــت لــن تكــسبيه إلّــا بفقدانــه لــك. و لــن تحــافظي عليــه إلّــا بحرمانــه منك.

ثمّـــة رجـــال لا تكـــسبينهم إلّـــا بالخـــسارة. عنـــدما ستنـــسينه حقًّـــا، سيتذكّرك. ذلك أنّنا لا ننسى خساراتنا !

لا تطلبي اللّجوء العاطفي إلى السرير
فهو سيسلّمك.. إلى عدوّك

و إنّي لأهوى النوم في غير حينه   لعلّ لقاءً في المنام يكون

قيس لبنى

صباح الخير.. هذا أنا.
لقد أصبحت أستيقظ قبلك لأنّ لي موعدًا معك. و تبقين في السرير.. لأنّ لك موعدًا معه.
السرير ليس مكانًا آمنا لامرأة تنشد النسيان. فلا تطلبي اللجوء العاطفي إليه. سيسلّمك إلى " عدوّك الحبيب " كما سلّم حسن الترابي كارلوس إلى فرنسا. و كما تسلّم الأنظمة العربيّة كلّ معارض يلجأ إليها و يأتمنها على حياته.
السرير كمين يقع فيه القلب النازف شوقًا. المطعون عشقًا. اعتقادًا منه أنّه ملاذ آمن لفرط حميميّته.
في الواقع، لا أخطر من حميميّته هذه عليك. أنت فيه مطوّقة بنفسك. حدودك الإقليميّة أنت، من كلّ صوب تحدّك الذكريات

و المواجع و الماضي. أنت طريدة ذاكرة تعتقدين الهروب منها إلى السرير.
لكنّها ستفترسك فيه لأنّك هناك لا لتنسي من تحبّين بل لتستعيديه.. لتنفردي به.. لتبكيه.
حتى النوم سيغدر بك. فحسب آخر الأبحاث العلميّة، إحدى مهام النوم حماية الذاكرة. فالنوم يساعد الدماغ على تخزين كلّ ما يعتقد المرء أنّه نسيه خلال النهار. و هكذا يصبح النوم وسيلة يستردّ بها الدماغ.. الذكريات.
لذا قد يستيقظ البعض و وسادته مبلّلة بدموعه. لقد بكى أثناء نومه. جرحه ظلّ مستيقظًا. أيّ أنّ النوم نفسه ما عاد فرصة للنسيان يقول العلماء . " البشر ليسوا حقيقيين الا في اللحظة التي يكونون فيها في أسرتهم وحدهم "
أخطر مكان عليك السرير. إنّه يغذّي حزنك و يوقظ مواجعك. و يخدعك بإيهامك أنّك تلتقين فيه الرجل الذي ما عاد من مجال للالتقاء به في الحياة. لهذا سمي السرير مخدع !
غادري مخدعك حال استيقاظك أتمنّى أن أجدك غدًا أمام فنجان قهوة تحتسينها على شرفة أحلامك. اجلسي إلى نفسك كلّ صباح أمام الطبيعة بدل أن تجلسي إلى ذاكرتك في سرير." بنظرة خاطفة ذكريات كثيرة تستلقي على سريري تقول عناية جابر"
هل رأيت رجلًا يلازم السرير حدادًا على امرأة ؟
إنّه يقصد السرير " رفقة لوازم نسيانه ". يستعين بامرأة على نسيان أخرى. في هذا سرّ شفائه.فالجنس عنده وصفة دواء يسهل تناوله بعد كل خيبة عاطفية.

ما دمت عاجزة عن الخيانة. أضعف الإيمان أن تغادري السرير حتى لا يكون فضاء متعته .. هو فضاء شقائك !

***

" الجنس مجرد إرضاء للنفس عندما لا يحصل الواحد منا على الحبّ "

غارسيا ماركيز

أيّتها الحمقاء.. الحياة تنتظرك و أنت تنتظرينه !

فإذا صحوتُ فأنت أوّل خاطري و إذا غفا جفني فأنت الآخر

صباحك نسيان..
صدقًا، ألست أفضل هذا الصباح؟ أشهر و أنت تنامين ظهرًا لظهر مع جسدك المستلقي إلى جوارك. مع الوقت أصبحت جارة جسدك، جارة حياتك لا صاحبتها. تعيشين حياة مؤجلة إلى حين يعود.
هكذا هي المرأة العربية.. تؤجل فرحتها في انتظار السعادة. الحياة موجودة من أجلك.. بعطورها و ورودها و فصولها.. و مصادفاتها.
الحياة تنتظرك و أنت تنتظرينه. السعادة تشتهيك و أنت تشتهينه. الحبّ يحبّك و أنت تحبينه. لأنّه ألمك.
كقطٌ يتوق إلى خانقه تريدينه.
عندما يتجاوز الخذلان حدّه، و ينفذ مخزون الصبر النسائي على سعته، عليك أن تراجعي علاقتك بالألم. فالألم ليس قدرًا. إنّه اختيار.
عام من الألم يكفي و يزيد. إنّه معدل الزمن الأنثوي المهدور الذي تحتاجه امرأة للشفاء من رجل تفشى فيها داؤه. الوعكة

العاطفيّة تأخذ وقتًا أقلّ. فثمّة " حبّ " تلتقطه النساء مثل الانفلونزا في شتاء القلب.
مثل هذا " الحبّ " ما كان مقدّرًا له أصلًا أن يعيش أكثر من فصل و الحزن عليه لا يستحقّ أكثر من أيام. لكن ألم الفراق الكبير لا بدّ ألا يدوم أكثر من سنة. بعدها يصبح الأمر ضربًا من الانتحار. فهل أنت واثقة أنّ على الطرف الآخر ثمّة عاشق ولهان قادم من العصور الغابرة.. يبكيك و يخلص لغيابك ؟
كفى بربك حماقة !

بالروح.. بالدم.. نفديك يا نسيان!

أسقي الزهور في غيابك

و لكنّها.. ترفض أن تنمو

غازي القصيبي

صباحك ورد..

يسعدني أن أراك تبدئين نهارك بالاعتناء بنباتات حديقتك.

لكن حذاري أن تتحرّشي بشجرة الذكريات. أن تسقيها في كلّ مناسبة بالحنين و الانتظار.. ثمّ تتعجبي ألّا يعطي النسيان وردًا.

لا يطرح النسيان وردًا في الموسم الأوّل. يحتاج إلى فصلين أو ثلاثة قبل أن يزهر. في البدء يهديك شوكه. لا تكوني على عجل و لا تقلقي. سيجيء فصل القطاف. فللحبّ رزنامة لا علاقة لها بمنطق الفصول.

ليس ثمّة نسيان جميل أو سريع. لا أحد بإمكانه أن يهديك النسيان قبل وقته. أو يبيعك إيّاه قبل أن يتفتّح على أغصانه. عليك أن تقتنيه بألمك و أرقك و دموعك.

هذه هي العملة الوحيدة التي تتعامل بها الأحاسيس في مواجهة الفقدان.

ثمّ تذكّري نحن لا ننسى الا حين نريد ذلك حقا كوني صادقة في إصرارك على النسيان.
ينجح الرجال في النسيان لأنّهم يريدونه حقًّا (لبدء علاقة جديدة) و تفشل النساء لأنّهن يخفنه (لخوفهن من الإقدام على تجربة جديدة). على أساس " ذاكرة في اليد.. خير من نسيان على الشجرة " فالمرأة تخاف أن يطير مع النسيان آخر عصفور أمسكت به.
كلّما أحبّت، توقّعت ألّا تهديها الحياة حبًّا بعد ذلك الحبّ. من هنا جاء هوسها بكلمة " إلى الأبد " التي يطمئنها بها الرجل إلى حين يطير.. إلى الأبد.
على النساء أن يشفين من خوفهن الأنثوي من المجهول. فليس الرجال أقلّ منّا خوفًا. و لا أكثر طمأنينة لما ينتظرهم. هم فقط أكثر خيانة و تنصلًا من وعودهم.
فليكن. انتهى زمان " أنساك ده كلام \ أنساك يا سلام \ أهو ده اللي مش ممكن أبدًا \ و لا أفكر فيه أبدًا ".
بربكنّ، ألا يبدو هذا الكلام سخيفًا عندما تقرؤونه هكذا عارٍ من صوت أمّ كلثوم الذي لجماله بإمكانه إقناعنا بأيّ شيء.
كان بإمكاننا أن نصدّقه و نموت من أجله. و نخرج في مظاهرات نسائيّة حاشدة تندّد بالنسيان كأحد أوجه الإمبريالية. و نتهمه بالمشاركة في المؤامرة الكبرى على المستقبل العاطفي للأمة العربيّة، لو أنّنا رأينا الرجال يهتفون، كما يهتفون للزعماء " بالروح بالدم نفديك يا وفاء ".
الذي حدث أنّهم أقنعونا منذ عصور أنّ النسيان ممكن جدًا. و لا نريد سوى إشعارهم بأن النسيان ليس حكرًا عليهم.

الباب المموارب للقفص

" الحبّ كطائر في قفص. أتركي له الباب مفتوحًا إن عاد فقد كان دائمًا لك و إن لم يعد فهو ما كان لك يومًا "

رحت أهاتفها في صباحات الألم لأنقذها من سياط الذكرى.
كمن يعطي الحبّ رغيف خبز بدل أن يدعوه إلى العشاء.
كنت أدري أن كلماتي ما كانت تشبعها تمامًا. لكن تمنحها قوت يومها من الصبر. و تغذّيها بفيتامين الصمود.
يومًا بعد يوم بدت كأنّها تتعافى من الماضي.. أو لعلّها كانت تحاول إقناعي بذلك. لكن لا شيء ملموسًا كان قد تغيّر حقًّا في حياتها. قلّما كانت تقبل تلبية دعوات أو حضور مناسبات.
كانت تعيش حدادها بجمالية و عزلة. لكن بطمأنينة أكبر.
كنت أصيح بها يائسة " من أين يأتي الحبّ إن لم تفتحي له الباب ". و كانت ترد " بل تركت له الباب مفتوحًا ".
لاحقًا أدركت أنّنا ما كنّا نحكي عن الأبواب نفسها. كنت أحكي عن باب الحياة.. و كانت تقصد باب القفص !
[أن تتركي باب القفص مفتوحًا طمعًا في عودة الطائر.
أيّ أن تغلقي كلّ باب عداه. دون أن تعترفي بذلك لأحد.
أن تؤجّلي سعادة في يدك.. من أجل سعادة على الشجرة.
أن تختاري خسارة الحاضر كي لا تخسري احتمال حلم.
عليك كلّ يوم ألّا تنسي تمامًا و لا تتذكري تمامًا. ألّا تهجري.. و ألّا تعودي. ألّا تهاتفيه و أن تواصلي سماع صوته فيك يقول لك بكلمات الماضي أنّه سيعود.. ألّا تكوني مبتهجة فلا تكوني أهلًا لقصّة حبّك. و لا تحزني فتصبحي موضوعًا للشفقة.

أن تعثـري علـى المسافة اللازمـة بينـك و بينـه فـي الغيـاب.. بينـك و بـين الآخـرين.. بينـك و بـين الـذكريات.. بينـك و بـين مـن يحـاول أن يأتيـك مـن بـاب آخـر - غيـر بـاب القفـص - ليـشغل محلّـه الـشاغر. ألّـا تخـوني مـن يكـون قـد خانـك. و لا تتـألّمي بوفائـك لـه. أن تخلـصي لأسـطورتك لا لبطلهـا. فالحـبّ هـو البطل.. لا ذلك الرجل !

أمـام فنجـان قهـوة قلـت لهـا " أن تتركـي بـاب القفـص مفتوحًـا أيّ أن تطلقـي سـراح طـائر الحـبّ و تـدخلي القفـص لتقيمـي مكانـه. قـرار عليـك أن تأخذيـه وحـدك و أنـت فـي كـلّ قـواك العقليـة و حـساباتك العاطفيـة. فوحـدك تعـرفين أيّ طـائر هـذا الـذي تنتظـرين. أهـو طـائر نبيـل أم عـصفور مـن أسـراب العـصافير المهـاجرة العـابرة. تلـك التـي تنقـر الحـبّ فـي أيّ كـفّ تُمـدّ نحوهـا. و تعـيش علـى فتافيـت الموائـد.. صـدّقيني ليـست كـلّ قصة حبّ تستحقّ في أيامنا كلّ هذه التضحيات ".

بـدت مقتنعـة بكلامـي. قـال لـسانها " أنـت علـى حـقّ. أنـا جـاهزة لوصفاتك " لا أدري ربما كان قلبها يقول آنذاك عكس ذلك .

***

لـديّ كتـاب صـغير
أكتـب فيـه حـين أنـساك
كتـاب ذو غـلاف أسـود
لـم أخـط فيـه كلمـة بعـد
فيرناندو بيسوا

نصائح بقطيع من الجمال

من حذّرك كمن بشّرك

الإمام علي

كما لم تحبّ امرأة...

وحدها التي ستأتي بعدي ستنصفني
و هي تفرغ جيوب قلبك
ستكتشف.. كم كنت ثريًّا بي

أدخلي الحبّ كبيرة. و أخرجي منه أميرة. لأنّك كما تدخلينه ستبقين.
ارتفعي حتى لا تطال أخرى قامتك العشقيّة.
في الحبّ لا تفرّطي في شيء. بل كوني مفرطة في كلّ شيء.
اذهبي في كلّ حالة إلى أقصاها. في التطرف تكمن قوتك و يخلد أثرك. إن اعتدلت أصبحت امرأة عاديّة يمكن نسيانها.. و استبدالها .
لا تحبّي... اعشقي
لا تنفقي... أغدقي
لا تصغري... ترفعي
لا تعقلي... افقدي عقلك
لا تقيمي في قلبه... بل تفشّي فيه
لا تتذوّقيه... بل التهميه
لا تشوّهي شيئًا فيه... جمّليه.
لا تكوني أمامه بل خلفه.
لا تكوني عذره بل غايته.

لا تكوني عشيقته بل زوجة قلبه.
لا تكوني ممحاته بل قلمه.
لا تكوني واقعه... ظلّي حلمه
لا تكوني دائمًا سعادته... كوني أحيانًا ألمه
لا تعدلي كوني في الأنوثة ظلمه
لا تَبكيه... أبكيه
لا تكوني متعته بل شهوته
كوني أرقه و أميرة نومه
لا تكوني سريره كوني وسادته
كوني بين النساء اسمه
ذكرياته و مشاريع غده
لا تكوني يده كوني بصمته
لا تكوني قلبه كوني قالبه
لا تغاري من ماضيه فأنت مستقبله
و لا من عائلته لأنّك قبيلته
لا تكوني ساعته كوني معصمه
و لا وقته بل زمنه
تقمّصي كلّ امرأة لها قرابة به
و كلّ أنثى يمكن أن يحتاج إليها
و كلّ شيء يمكن أن يلمسه
وكلّ حيوان أليف يداعبه
وكلّ ما تقع عليه عيناه
كوني ابنته و شغّالته و قطته
ومسبحته وصابون استحمامه و مناشفه

ومقود سيّارته وحزام أمانه
ومصعد بنايته
كوني مفاتيحه ومن يفتح بابه... حتى في الغياب
كوني عباءة بيته... سجاد صلاته
كوني أريكة جلوسه ومسند راحته وشاشته
كوني بيته
كوني المرأة التي لم ير قبلها امرأة
و لن تأتي بعدها امرأة... بل مجرد إناث !

نصيحة:

لا تعجبي إن تمرّد عليك برغم هذا و لا تحزني. الحبّ الكبير يخيف رجلًا ما عرف قبلك امرأة. إنّه ينسحب ليحمي رجولته من إغداق أنوثتك. و ليتداوى من تلاشيه فيك. لكنّني لا أعرف رجلًا شفي من سرطان الروح بتناوله " أسبرين " الكذب على الذات. لا أحد تعافى من حبّ كبير تقول التقارير العاطفيّة.

فلا تغاري و لا تهتمّي. ربما مع الوقت دخلت حياته " إناث الهاتف " أو " قطط النت ". ربما مرّت به ثياب نسائيّة و أحذية بكعب عال و قبل بأحمر شفاه. و صدور و عطور و كلمات.

و " ميساجات " ليست كالميساجات. و نشوة في مذاق " غزل البنات " تمّ إعدادها من السكر الصافي المذاب الذي يصنع منه الباعة حلوى كلحية بيضاء قطنيّة طيّبة المذاق.

لكــن لا شــيء يبقــى منهــا غيــر الــدبق.. إنّهــا تعلــق باليــدين والفــم و يحتاج المرء كلّما تناولها أن يغتسل.

هو لهن..

إن أحببتـــه كمـــا لـــم تحـــبّ امـــرأة. لا تبكـــي و لا تحزنـــي. ليـــسعدن به. سعادتك أنّك قصاصه المستقبليّ.

كلّمـــا تقـــدّم بـــه العمـــر كبـــرت بـــذكراك خـــساراته. ربمـــا وجـــد امـــرأة تهديه نسيانك، لكن لن يعثر عن امرأة تهديه حبّك.

***

جـــراري مليئـــة بـــدموع نـــساء

أحببنـــــــــــــك قبلـــــــــــــي

لكنّنـــــــــــــي لا أبكـــــــــــــي

مـــشغولة بمـــلء ســـلال الـــضّحك

لامـــــــرأة ستـــــــضحك بعـــــــدي

على كلّ ما كنت فيك أخاف عليه

أصمدي!

صبرت حتى يعلم الصبر أنّي   صبرت على شيء أمرّ من الصبر

ثمّة متعة في الصمود حتى.. ألمًا.
قاومي شهوة الاستسلام لنداء الماضي. فوّتي على الحنين ما ينصبه لك من فخاخ. أصمدي كي تبقي كبيرة في عين نفسك.
الذي تخلّى عنك. أراد دهس كرامتك. فليكن، يبقى لك كبرياء النسيان. و زهو امتناعك عن الاتصال به أيًّا كانت المناسبة. ستمرّ كلّ المناسبات و كلّ الأعياد و " عيديّتك " أنّك أفسدت عليه عيده. ما دام قد أفسد عليك الحياة بين عيدين !
و أعرف صديقة أبدعت في الحالتين. كانت قد انفصلت عن الرجل الذي تحبّه قبل أشهر. فلم تطلبه في عيد ميلاده. رغم كونها تعرف تمامًا التاريخ بحكم السنوات التي احتفلت فيها به.
ثمّ في العام التالي هاتفته في المناسبة إيّاها. و لم يصدق أن تكون تذكّرته أخيرًا.
لكنّها عكرت عليه فرحته حين قالت ببراءة ماكرة " ما هاتفتك العام الماضي في عيد ميلادك لأنّني كنت ما زلت أحبّك و أقوم بجهد الامتناع عن الاتصال بك. لكن، و قد

انطفـأت تلـك الحرائـق منـذ ذلـك الحـين. أصـبح بإمكـاني اليـوم أن أتمنّى لك من قلبي عيد ميلاد سعيد ".

مـا كانـت تتمنّـاه حقًّـا هـو إيلامـه بـسلاح جديـد لـم يتوقعـه. تركتـه حزينًـا يتحـسّر علـى الـزمن الـذي كانـت تـشهر عـداءها لـه.. صمتًا !
ذلـك أن الـصمت فـي عنفـه هـو تعبيـر عـن حـبّ مـضاد مـدفوع إلـى أقـصاه.. أيّ أنّـه وجـه آخـر للعـشق فـي تطرّفـه. أمّـا أن تتـصلي برجـل عـشقته يومًـا لتقـولي لـه كلامًـا عاديًّـا فـذلك يعنـي أنّك أنزلته من عرشه و ساويته بالآخرين.
الـصمت.. كمـا كَـسْرُ الـصمت سـلاح علـى كـلّ امـرأة أن تـتقن استعماله في مواجهة الانقطاع الطويل..
و لنا في الرجال خير معلّم!

كلّ متّهم بريء إلى أن يشنق!

مقولة من أرشيف الطّغيان العربي

نهلك بما نعشق نحيا بما نخاف

ابراهيم الكوني

لا ترابطـــي بجـــوار الهـــاتف و تربطـــي حياتـــك بـــه. فـــذاك الرجـــل أخـــذ قـــرارًا بألّـــا يهاتفـــك و لـــو مـــتّ علـــى أمـــل أن يقتلـــك بـــسكتة هاتفية. دعيه يموت هو في انتظار ذلك !

إن كنـــت تـــودّين إســـعاده واصـــلي التنكيـــل بنفـــسك. فـــلا هـــدف لـــه إلّـــا تعـــذيبك علـــى جريمـــة وحـــده يعرفهـــا. يحتـــاج أن يزهـــق روحـــك ليتأكّـــد مـــن براءتـــك. إن كنـــت مولعـــة بالعـــشق الفاشـــستيّ و مشتقاته أبشري !

إنّه يعدّ لك محرقة حطبها.. غباؤك.

عوّضي حاجتك إليه.. بقضاء حوائج الآخرين.

إنّ لله عبادًا اختصّهم بقضاء حوائج الناس حبّبهم في الخير و حبّب الخير إليهم. إنّهم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة

حديث شريف

أمام فاجعة الفقدان. إزدادي كرمًا و إحسانًا. هبي نفسك و وقتك لأناس يردّون على خيرك بالعرفان.

وحده الحبّ جاحد. إنّه يحتاج أن يتنكّر لك ليشفى منك. فهو يرى في اعترافه بجميلك انتقاصًا من قيمته. و تشويه لنفسه.

و ما يريده هو تشويهك أنت في قلبه. كي لا يشعر بفداحة خسارتك.

في قمّة ألمك، احتفي بمن يقصدك. عوّضي حاجتك إلى من هجرك بحاجة الآخرين إليك.

فالآخرون لا يقصدون إلّا من يرون فيه بهاء النبل و بهاء السخاء و بهاء القلب الطيّب. هم مرآتك عندما ينسيك الزمن مواصفاتك و خصالك. هم الذين ينبّهونك إلى جزئيّاتك الجميلة التي شوّهها العطاء لغير أهله.

***

"عليك بالصدقة و لو بالقليل، فإنّها تطفئ الخطيئة وتسرّ القلب، و تذهب الهمّ و تزيد في الرزق"

تفوّقي عليه حبًّا

لا أعرف قصاصًا أكبر من الحبّ

أنسي الحاج

لا تستسلمي لشهوة الانتقام أيًّا كان غدره بك. وحدها النفوس الصغيرة تهجس بالأذى لأنّها لا تقدر إلّا عليه. غادري حياة من أحببت كنسمة. لا تدمّري مكانًا أقمت فيه.
لا تشوّهي صيت رجل أحببته. كي حين تلتفتين خلفك بعد سنوات لا تجدين خرابًا بل حديقة. قصاصه في الورود التي ستواصلين سقيها في حديقته برغم كونك لن تريها تتفتّح.
واصلي حماية بيته و لو بقلبك. تمني له الخير صادقة ان كان شهما لن ينسيه ما أتاه بعدك من خير ..خيرك و سيؤذيه نبلك ويحرجه .
كوني أميرة , دللي من تعرفين من أهله دون علمه. تفوّقي عليه حبًّا لتصغريّه في عين نفسه. ارفعي سقف العطاء حتى لا تجرؤ امرأة على أن تأتي بعدك.
هل تعرفين انتقامًا أكبر من هذا ؟

احتج الى من شئت و كن أسيره
أحسن الى من شئت و كن أميره
الامام علي

"و عزّة نفسي منعاني"

ليست المسألة كم تحبّ الشخص حين تحبّه
و إنّما كم تحبّه حين تكرهه
الممثل آستون كوتشر

كلّما اتّسعت القطيعة تحوّل الحبّ إلى ضرب من المنازلة العاطفيّة الموجعة.
كلّ واحد يريد من خلالها ليّ ذراع الثاني مراهنًا على أنّ الآخر لا بدّ أن تهزمه الأشواق و استبداد العادات العاطفيّة المشتركة و الذكريات.
و أنّه حتمًا أوّل من سينهار و يرفع السماعة أو يرسل رسالة هاتفيّة. لكن غالبًا ما ينقلب السحر على العاشق. و بدل أن يقرّب البعاد المحبّين.. يفرّقهم نهائيًّا عندما يتجاوز الانفصال الأيام و الأسابيع إلى الأشهر. و يبدأ عندها كلّ واحد في التشكيك في عواطف الآخر من أساسها.
و ينوب عن شوقه إليه حقده عليه. فالغيرة تأخذ هنا مجدها و توسوس لكلّ واحد بما يزيد من عناده و يشوّه صورة الآخر في قلبه و يملؤه ندمًا على ما ضاع سدًى من عمره.
و تغدو لا رغبة لكلّ واحد إلّا بالانتقام لكرامته العاطفيّة، كلّ حسب قناعاته و أخلاقه و إمكانياته. و ما يرى فيه الردّ

الأكثـر إيلامًـا للآخـر. لعبـة غبيّـة و سـاديّة قـد يمتـد دمارهـا إلـى سنوات عدّة حسب عمق العلاقة و عمرها.
إنّـه حـبّ مـدفوع إلـى أقـصاه حـدّ الـدمار المـشترك كنـوع مـن التوحد في التشظّي على طريقة كامل الشناوي:

" حطّمتني مثلما حطّمتها   فهي منّي و أنا منها شظايا ".

هكـذا حـبّ لا يليـق بغيـر النفـوس المريـضة. لقـد وُجِـدَ الحـبّ لنتحـدّى بـه العـالم لا لنتحـدّى بـه مـن نحـبّ، و وُجِـدَ ليبنـي و يجمّـل و يـسند، لا ليهـدّ و يبـشّع و يـدمّر. فـي الواقـع كـان يكفـي كلمـة واحـدة. كـان يكفـي رنّـة هـاتف و صـوت يباغتـك يقـول " إشـتقتك "، " مـا نـسيتك "، " أحتاجـك ". لكـن لا هـاتف يـدقّ و الحـبّ الـذي ولـد وسـط شـلالات الكلمـات الجميلـة... يمـوت لأنّ كلمة واحدة تنقصه !
كلمـة , بـل دقـة , مجـرد دقـة هاتفيـة , عـن تحـدّ بخـل بهـا كـلّ عاشـق علـى الآخـر. متناسـيًا تلـك الدقّـة التـي قـد تـأتيّ فـي أيّـة لحظة لتفرقهما إلى الأبد.. دقة الموت.

* * *

في كلّ مرة تنسى إنّما هو الموت ما تتذكّر و أنت تنسى

موريس بلانشو

غادري نفسك.. كي تعودي و تجدينها

يظلّ يجيء الذي قد مضى   لأنّ الذي سوف يأتي ذهب

المتنبي

لا تتحدّثي عن ماضيك سوى لصديقة واحدة. فالماضي يطوى و لا يروى. كلّما رويته احترقت به، و عدت إلى زنزانته. و منحته حقّ جلدك. لكن أكثر ألمًا من الحديث إلى أحد، ذلك الحديث الذي لا ينتهي مع نفسك حول الجرح نفسه.

و هو ما يسميه رولان بارت " الثرثرة الذهنية " إنّه " فيض كلام يحاجج من خلاله العاشق دون كلل في رأسه مفاعيل جرح أو نتائج سلوك ما: إنّها شكل مفخّم من أشكال الخطاب العشقيّ. العاشق الذي يقع فريسة الثرثرة، لا يكفّ عن ملامسة جرحه ".

حاولي النجاة بنفسك من هذا الهذيان بالخروج إلى نزهة أو بمجالسة أناس جميلي المعشر. اهربي من نفسك. فالشخص الذي عليك ألّا تفتحي معه سيرة جرحك.. هو أنت بالذات.

عليك أن تقتنعي بعد الآن أنّ الحياة أجمل من الذي مضى. أنّك لا تملكين إلّا يومك. و أنّ العودة إلى الماضي قتل لحاضرك و لك أيضًا. و أنّ الاجترار الذي يلامس الهذيان ذبح لك على مدى الليل و النهار. و هو تمامًا ما يريده لك !

إنّــــه مـــوت مجـــانيّ و غبـــيّ، مـــن أجـــل رجـــل لـــيس أهلًـــا لأن تنحـــري نفـــسك حـــسرة عليـــه. فالـــذي قاســـمك الماضـــي و مـــضى..
كلّف الماضي باغتيالك بعده (هل تعين هذا؟)
فـــوّتي عليـــه فرصـــة قتلـــك. لا تقيمـــي علـــى أطلالـــه. فمـــا زال فـــي الحياة متّسع لتبني لأحلامك قصرًا.
الآن فورًا، أغلقي هذا الكتاب و غادري نفسك.

"ليفتينغ" النسيان...

الحبّ هو أفضل عمليّة شدّ وجه. لكن عمومًا من الأسهل العثور على جراح تجميل من العثور على رجل يستحقّ الحبّ.

الممثلة الفرنسيّة إيمانويل بيار

إن كان الحبّ هو أفضل عمليّة شدّ وجه. فإنّ أفضل كريم ضد التجاعيد هو النسيان.
لا تدعي الفقدان ينكتب بؤسًا و تجاعيد على وجهك.
فالخسارة العاطفيّة تظهر أوّل ما تظهر على وجه المرأة.
مهما تجمّلت ستشي بك الملامح المتعبة. العيون التي لم تنم. الخدود التي كانت نضرة و مرّت بها سواقي الدموع. الرموش التي كانت ساحرة و جارحة و انكسرت و ذبلت لفرط بكائك السري و انهطالك الداخلي المتواصل.
أخرجي هذا الرجل أوّلًا من وجهك. لا بدّ ألّا ترينه في المرآة عندما تقفين أمامها في الصباح.
فبشاعته داخلك، و ذلك الكمّ من الأذى الذي ألحقه بك، سيتحوّل إلى أحاسيس قبيحة و ضارة تشغل كلّ مكان كان يحتله في جسدك. سيعبر وحله شرايينك و كريات دمك و ينتهي في ملامح وجهك.

لا تـدفعي مـن جمالـك و نـضارتك.. ثمـن خـروج هـذا الرجـل مـن حياتـك. فهـو لـم يـدفع هـذه " القيمـة المـضافة " للفـراق. لا ثمنًـا و لا زمنًـا. حـداده عليـك سـيكون قـصيرًا. فلـو كـان طويلًـا و موجعًا و مكلفًا لما تخلّى عنك.

نصيحة:

الوجه هو أوّل ما يراه فيك الآخرون.
و أوّل مـا رآه فيـك هـذا الرجـل يـوم أحبّـك. يومهـا حتمًـا مـا كنـت علـى هـذا القـدر مـن الـذبول. كـان حولـك مـشاريع حـبّ. فقـد كنـت تبثّـين ذبـذبات بهجـة. تـذكّري كـم كنـت يومهـا مـشرقةً و شهيّةً. كنت متألّقة كنت واثقة. كنت امرأة.
اعلمـي أن للإشـعاع جاذبيّـة. و أنّ شـعورك بأنّـك محبوبـة يجذب إليك الحبّ.
لـذا عنـدما يتخلّـى عنـك الحـبّ. لا تجـدين أحـدًا مـن الـذين كـانوا يتمنّونـك يـوم كنـت عاشـقة. فإحباطـك و ذبولـك و الذبـذبات الـسلبيّة التـي تبثّهـا أنوثتـك المجروحـة تجعلهـم ينسحبون.

الحلّ:

فـي انتظـار أن تحبّـي أحـدًا. و لكـي يحبّـك أحـد. أحبّـي نفـسك. جمّليهـا. دلّليهـا. غـاري عليهـا. اهـديها مـا كنـت تبخلـين بـه عليهـا

لتهدينـــه لمــن تحبّــين. خصّــصي لهــا مــن الوقــت مــا لــم تكــوني فــي الماضي تملكين.
أعدّيها للحبّ دون أن تخبريها بذلك.

* * *

كلّ إنسان يصبح مسؤولًا عن وجهه بعد سنّ معيّنة

ألبير كامو

ماذا هو فاعل الآن ؟؟

بينما أطارحك البكاء
ثمّة امرأة كما دون قصد
تضمّها إليك
من دون شعور بالذنب
تعابثها يدك
يدك التي تحفظني عن ظهر قلب

***

قلبي الذي يراك
و يدك التي لا تراني
كيف تسنّى لها أن تغدق على أخرى
بتلك الشهقة التي سُرقت مني
مشهرة في وجه قلبي مستندات الشرعية!

لا أكثر أذًى من هذا السؤال.
كلّما راودك نحرت نفسك بسكّين غير صالح للذبح. إنّه يقتل في الدقيقة مليون مرة. دماره يعادل القنبلة الذرية التي ألقتها أمريكا على هيروشيما فمسحتها عن وجه الأرض. إنّه يتكرّر صباحًا حال استيقاظك و ليلًا قبل نومك. و في نهايات اليوم و في نهايات الأسبوع.

في المناسبات و في عطل الأعياد. عندما تمطر و حين تثلج. و حين ترتفع حرارة الطقس و تتفتّح مباهج الحياة. لكأنّ الرزنامة و الطبيعة تآمرتا عليك، لخلق حاجة لديه لوجود امرأة. في كلّ شيء و في كلّ مناسبة ترين فرصة لخيانته لك.
ذلك أنّك تملكين مرجعًا و دليلًا لعاداته من خلال ذكرياتك معه. واثقة تمامًا أنّه في المناسبات إيّاها، سيكرّر لو استطاع كلّ شيء بحذافيره و تفاصيله.. فالرجل ابن عاداته.
أطمئنك. إنّه سيفعل. و إن لم يخنك بعد فليس وفاءً لك. بل خوفًا على نفسه من الأمراض و عواقب المغامرات. إنّه فقط يبحث عن مرفأ آمن لمركبه. و ذات يوم ستنهار مقاومته. إنّه حيوان جريح يسهل اصطياده. تشتمّه النساء على بعد كيلومترات. فالعثور على رجل بقلب منكسر غنيمة نسائية. مواساته قد تأخذ سنوات ذلك أن " الطريدة تسهر على صيادها " حسب طلال سلمان .
و لأنّه يصعب على رجل أن ينتقل من حبّ كبير إلى مغامرة صغيرة، دون أن يتلوّث أو يصغر أمام نفسه. سيجد أكثر من ذريعة ليبرّر لنفسه ما أقدم عليه. سيخوّنك ليبرّأ ضميره. و يشوّهك ليجمّل نفسه. و سيقاطعك كما لو كنت بضاعة اسرائيليّة.. أو زبدة هولنديّة. في الواقع، ما عاد لديه صوتًا يواجهك به. فحتى صوته قد خانك !

نصيحة :

توقفي عن تعذيب نفسك بسؤال " ماذا تراه فاعل الآن ؟ "

ما هو أقصى شيء يمكن في رأيك أن يفعله ؟ ليفعله !
فكّــري فــي مــا لــن يــستطيع فعلــه مــن دونــك بعــد الآن، و سيــصنع تعاســته. كــأن يــضمّك إلـــى صـــدره و يغـــدو ملكًـــا علـــى العـــالم.
وما لن يستطيع قوله.. وقد أصبحت لغيره.

من تنادين مات

عنـدي بعـض الوقـت
دعنـي أتأمـل غـروب خطـاك
عنـدما يـوليني الحـبّ ظهـره
دعني أنصت إلى صخب غيابك
في هذه اللّحظة الرائعة للأفول
عنـدما تعلـن الأشـياء موتـك

أمـام أوّل رسـالة تبعثينهـا ولا تتلقّـين عليهـا جوابًـا تـوقفي نهائيًّـا عن المراسلة.

إنّ الانقطـاع التـام أخـف علـى العاشـق مـن رسـائل يقابلهـا الـصمت. فالـصمت مـساحة للتـأويلات التـي قـد تـذهب بـك فـي كلّ الاتجاهات.

و سـتخطئين حتمًـا فـي تفـسير صـمت الطـرف الآخـر فـبعض الـصمت عتـاب أو إهانـة .... و آخـر حـبّ... و ثالـث حـبّ مـضاد... لكـن أيًّـا كـان فهـو يفـسد و يغيّـر صـورة الآخـر فـي قلبـك و طريقـة إحـساسك بـه. كلّمـا طـال الـصمت تـشوّه الحبيـب و أصـبح كائنًـا غريبًـا عنـك. و نـاب عـن صـوته مـرارة تقتـل كـلّ مـا كـان حلـوًا بينكمـا. و أيًّـا كانـت الرسـالة التـي كـان يريـد إيـصالها لـك فـي البـدء بـصمته فلـن تـصلك إلّـا مـشوهة. إنّهـا صورة عنه.

فـي إحـدى رسـائله يحـذّر فرويـد الـشاب خطيبتـه مـن عواقـب عـدم ردّهـا علـى رسـائله و انعكـاس هـذا علـى مـستقبل حبّهمـا:

" لا أريـــد أن تبقـــى رســـائلي دون جـــواب، و ســـأتوقف فـــورًا عـــن الكتابـــة لـــك إن لـــم تجيبـــي علـــى رســـائلي. تـــؤدي المناجـــاة المـــستمرة للمعـــشوق، التـــي لا تلقـــى منـــه تغذيّـــة أو تـــصويبًا، إلـــى أفكـــار خاطئـــة تطـــول العلاقـــات المتبادلـــة. و تجعلنـــا غـــريبين، الواحـــد منـــا عـــن الآخـــر، عنـــد تجـــدّد اللقـــاء، و عنـــدها نجـــد الأشـــياء مختلفة عما كنّا نتصوّرها، دون التأكد من ذلك ".

الـــصمت هـــو بدايـــة الاغتـــراب بـــين عاشـــقين كانـــا لفـــرط انـــصهارهما غربـــاء عـــن العـــالم، مكتفيـــان بـــذاتهما. و أصـــبحا بحكم الانقطاع غرباء عن بعضهما البعض. إنّها فاجعة.

لكـــن ســـتكون صـــدمتك أقـــل إن أخـــذت علمـــا بهـــا بـــاكرًا. غيـــر أنّ هـــذا غالبًـــا مـــا يحـــدث متـــأخّرًا لأنّ المـــرأة ستواصـــل محاولـــة إنقـــاذ الحبّ و لو بالتواصل المتقطّع.

نصيحة:

بـــرغم ذلـــك لا تفتحـــي قلبـــك (و هاتفـــك) فـــورًا لحـــبّ جديـــد. خـــذي الوقـــت الكـــافي لتأمّـــل جثّـــة ذلـــك الحـــبّ "الكبيـــر" و هـــي تتحلّل فيك و حولك. ستتألّمين لكن ستشفين بطريقة أفضل.

كـــلّ مـــساء تـــأمّلي مـــشهد غـــروب العواطـــف و قـــرص الحـــبّ و هو يغرق بحمرته الدامية في بحر أوجاعك.

غـــدًا مـــن المكـــان نفـــسه ســـتطلع الـــشمس . ذلـــك أنهـــا مثلمـــا تغـــرب بداخلك ستشرق الشمس منك .

" الغروب هو ظاهرة ذهنية قبل كل شيئ "

فرناندو بيسيوا

دعيه يجرّب!

لأنّنا لسنا الصبوحة، نواجه كنساء عربيّات حاجزًا نفسيًّا كبيرًا يجعلنا أيًّا كان عمرنا نزهد في الشباب من الرجال و نهجس بآخرين لا أمل يرجى من شعرهم الرمادي.
ذلك أنّ المرأة العربيّة مثل الشعوب العربيّة تربّت على الحاكم الأب و لم تعرف للرجولة رمزًا إلّا حكّامًا شابوا على الكرسيّ.
لذا لا تتصوّر نفسها تحبّ رجلًا أصغر عمرًا من أبيها الحاكم. و لا تفهم أنّ نساءً في كلّ قواهن العقليّة صوّتن في أمريكا و روسيا على حكّام في فتوّة أوباما و ميدفيديف. كيف أنّ نساء ينتمين إلى بلدين هما أعظم قوّتين في العالم تجرّأن على هجر مخدع التاريخ و ارتمين في أحضان فتيان السياسة ؟
بربكن ألا تجدن هذا الرجل الممشوق كحصان أسود الذي حسب برلسكوني " وسيم و يافع و كذلك مكتسب سمرة الشمس" رجل سكسي و هو يقفز مهرولًا إلى المنصّة هل رأيتن حاكمًا عربيّا يهرول هكذا ؟ لا تسألن أنفسكن لماذا ! أم هذا الفتى الروسي الرشيق الخطى " الذي يمشي ملكًا " حسب أمّ كلثوم مغرٍ في خبث ابتسامته !.
بعضنا عن مبدأ و أخريات عن عقدة زهدن في رجال يصغرنّهن و لو بعام. فعندما لا نعاني من عقدة الأمومة...

نعاني من عقدة الأب. و أحيانًا نحمل العقدتين معًا دليلًا على فائض عروبتنا، و أنوثتنا (زيادة الخير.. خيرين).
عكس نساء الأرض، المرأة العربيّة التي تربّت في مجتمع أبويّ لا تريد فتيانًا و لا شبابًا، تريد رجلًا خارجًا من كتب التاريخ. لكنّها تعثر على رجل خارج من العيادات الطبيّة، بحكم أنّها تريده رصينًا و ناضجًا بشعره الرمادي و همومه الوجوديّة.
غير أنّ الرجل في خريف العمر يحتاج إلى حبّ أقلّ و إلى كذب أكثر.. ينهكه الحبّ الكبير الذي تهجس به النساء على طريقة المسلسلات التركيّة. هنّ يردن " مهنّد " و" يحيى " كنموذج لرجال يبقون عشّاقًا أوفياء حتى آخر حلقة من المسلسل.
أمّا الرجل فقد اكتسب مزاجًا " مكسيكيًّا " قادم من مسلسلات لا يعرف فيها من ابن من ؟ و لا ممّن حبلت الشغالة !
ربما كان الحلّ في أن نبدأ بمشاهدة المسلسلات نفسها.
لا تنسي أنّه في هذا العمر غالبًا ما يعاني الرجل من مرض السكري و من ضغط الدم و من مرض القلب و الروماتيزم و الكولسترول ومن القسور الكلوي ومشاكل في النظر ومن كآبة منتصف العمر... و من أمراض رجالية وقّر الله علينا شرّها. لكنّه بين جرعتيّ دواء، و بين الأقراص البيضاء و تلك (الزرقاء) يحتاج إلى الوقوع في الحبّ كلّ يوم.
فهو يفضل على حبّ كبير، حبًّا بالتقسيط المريح لاعتقاده أنّه مع كلّ قصّة حبّ يقع في شبابه !

بعض الرجال يسمّون " المطبّات العاطفيّة " حبًّا. مراوغة منهم للموت و الشيخوخة و خوفًا من حفرة المطب الأخير.
في الحالتين لا مفرّ من المطب. كان الصديق صالح العزّاز رحمه الله يقول " من تمسّك بأذناب البقر رمين به في الحفر"!
دعيه إذن للبقر، أعني البقرات " الفاضلات "، " الماجدات" (ألا يذكّرك هذا التعبير بزمن عربيّ ما ؟).
غدًا... (و غدًا لناظره قريب) عندما يسقط هذا المخلوق في حفرة و هو مثل السنجاب ينطّ من بقرة إلى أخرى، سيذكرك بالخير و هو في قاع البئر. حينها سيتنبّه و قد خانته رجلاه عند محاولة الصعود أنّه تجاوز عمر الجنون. و ما عادت تفيد معه أيّة أدوية و لا تعاويذ سحرية و أنّ لا امرأة غيرك كانت قادرة على انتشاله من قاع العمر.
و أتمنّى أن تكوني يومها قد تجاوزت سنّ الحماقة و ألّا تأخذك به الشفقة فتمدّين له يد المساعدة.
دعيه حيث هو. " اللّي باعك بالفول... بيعو بقشور الفول"!
تقول أمي!

***

"كلما زاد ايمانك بذكائك سهل على المرأة أن تخدعك"

بيرون

لست وحدك كلّ.. العشاق أهلك!

لا تتوقّفي عند مأساتك العاطفيّة. كأنّ قصّتك حدث كَوْني أو مأساة حصريّة لم يعرف الحبّ شبيهًا لها. قصّتك قطرة في محيط العواطف العاتية التي ما انفكت تعبث بأقدار الناس مدًّا و جزرًا منذ بدء التكوين.

لا نجاة. أن تحبّي و تتعذّبي يعني أنّك على قيد الحياة. ما أنت إلّا قصّة بين ملايين القصص التي يعيشها ملايين العشاق الذين لا تعرفينهم. أنت تنتمين إلى أكبر تجمّع بشري يدين بالحبّ. استمعي إلى الأغاني العاطفيّة بكلّ اللغات.

كلّ من يبكي حبيبًا له قرابة بك. في دموعه عزاؤك.

من يسقط في النهر.. يتمسّك بالأفعى

" بين اللحظة التي تسبق الافتراس وغفلة الضحية مساحة من الهواجس لا يعرف مداها إلّا الرجال "

لا تستعيني لحظة سقوطك في هاوية الفراق بأوّل رجل يصادفك و يعير حزنك أذنًا صاغيةً.
إنّها أكبر الفخاخ التي يقع فيها الرجال، و أغلاها تكلفة. فامرأة تصغي إلى أحزان رجل هي في منتصف طريقها إلى قلبه، و سينتهي به الأمر إلى تسليمها قلبه معتقدًا أنّها أمّه. اهتمامها به يعميه عن طرح الأسئلة. الأجوبة سيكتشفها لاحقًا. عندما يستيقظ من تخديرها و يحتاج امرأة أخرى يشكو لها ما حلّ به !
أنت منهكة و على مشارف الغرق. و لن تميّزي بين الأفعى و خشبة الخلاص.
ثمّة أفاعي و تماسيح تنتظر في النهر سقوط امرأة لا تحسن العوم !
أنت دون مناعة عاطفية. " تلتقطين حبًّا " كما تلتقطين رشحًا أو انفلونزا.

حاذري الوقوع في ما يحدث للرجال الخارجين لتوّهم من خيبة عاطفية. إنّهم الطريدة الأسهل. يقعون في شباك أوّل

امـــرأة تحنُـــو علـــيهم. هربًـــا مـــن امـــرأة قـــسوا عليهـــا. فيـــسلّمونها مستبـــشرين كـــلّ مـــا ظنّـــوا أنّهـــم أنقـــذوه مـــن المـــرأة الأولـــى. فتنـــتقم الثانية للأولى... و لو بعد حين و في هذا عزاؤنا ودرس لنا !

***

يجـــب اســـتغلال أكبـــر عـــدد مـــن النـــساءالغبيات لنـــسيان امـــرأة ذكية

ميشيل أوديار

الوفاء في عتمة الغياب

فلا عنك لي صبر و لا فيك حيلة و لا منك لي بدّ و لا عنك مهرب

أثناء الغياب الطويل، و أنت في عتمة الأسئلة. ستتحازين إلى الإخلاص لحبيب تراهنين على عودته، و تريدين أن تحتفظي له ساعة اللقاء بشهقة أنوثة، زهدَتْ في مباهج الدنيا في انتظاره.

الوفاء مكلف، وحدك تحدّدين ثمنه. لأنّ لا أحد يدري كم دفعت و ماذا رفضت و كم انتظرت و هل الذي انتظرته أهل للثمن.

ضعي في الاعتبار خساراتك. و اعلمي أنّ ما تكسبينه من إخلاصك تأخذين مكافأته من عزّة نفسك أوّلًا. من زهوك بعفّتك فالعفة زينة المرأة. و الوفاء تاج الحبّ.

لا تنتظري امتنانًا من حبيب فقد تفاجئين بعكس ما تتوقّعين. قد يشكّ فيك من أخلصت له كعمياء. و قد يثق آخر في امرأة خانته بذكاء.

الوفاء على أيامنا " شطارة " !

صلّي.. ففي سجود قلبك نسيانه

" مـن كـان الله معـه فمـا فقـد أحـدًا

و من كان الله عليه فما بقي له أحد"

السلام الروحي يأتي قبل الهناء العاطفي، فهو أهمّ من الحبّ. كلّ عاطفة لا تؤمّن لك هذا السلام هي عاطفة تحمل في كينونتها مشروع دمارك.

أمام كلّ المشاكل العاطفيّة أو النفسيّة بالإيمان. و جاهدي الحزن بالتقوى. بقدر إيمانك يسهل خروجك من محن القلب و فوزك بنعمة النسيان. لأنّ الإيمان يضعك في مكانة فوقيّة يصغر أمامها ظلم البشر.

عليك بالصلاة.بالصلاة وحدها نستطيع أن نحقق بين الجهد و العقل و الروح اتحادا يكسب العود البشري الواهي قوة لا تتزعزع . يقول كارلبل إن صلّيت صلاة يحضر فيها قلبك فسيغيب عن فكرك أيّ أحد و أيّ شيء عدا الله. و تكونين قد تجاوزت النسيان إلى الطمأنينة. و هي أعلى مراتب السعادة النفسيّة. " ألا بذكر الله تطمئن القلوب ".

كان مسلم بن يسار في المسجد فانهدّت طائفة من المسجد، فقام الناس و لم يشعر أن اسطوانة المسجد قد انهدت. و كان يقول لأهله إذا دخل في صلاته " تحدّثوا فلست أسمع حديثكم ".

و قد بلغ من زهد يعقوب الحضرمي أن سُرق رداؤه عن كتفه و هو في الصلاة و رُدّ إليه و لم يشعر.

أطيلي صلاتك حتى لا تعودي تنتبهي إلى من سرق قلبك، إن كان أخذه.. أم ردّه.

كلّما أقبلت على الله خاشعة. صَغُرَ كلّ شيء حولك و في قلبك. فكلّ تكبيرة بين يدي الله تعيد ما عداه إلى حجمه الأصغر. تذكّرك أن لا جبار إلّا الله و أنّ كلّ رجل متجبّر حتى في حبّه هو رجل قليل الإيمان متكبّر. فالمؤمن رحوم حنون بطبعه لأنّه يخاف الله.

إبكي نفسك إلى الله و أنت بين يديه. و لا تبكي في حضرة رجل يخال نفسه إله، يتحكّم بحياتك و موتك. و يمنّ عليك بالسعادة و الشقاء متى شاء.

البكاء بين يدي الله تقوى و الشكوى لغيره مذلّة. هل فكّرت يوما أنّك غالية على الله.

اسعدي بكلّ موعد صلاة. إنّ الله بجلاله ينتظرك خمس مرات في اليوم. و ثمّة مخلوق بشري يدبّ على الأرض يبخل عليك بصوته و بكلمة طيّبة.

ما حاجتك إلى " صدقة " هاتفيّة من رجل. إن كانت المآذن ترفع آذانها لك و تقول لك خمس مرات في اليوم أن ربّ هذا الكون ينتظرك و يحبّك.

" لقد حررني الله فليس لأحد أن يأسرني "

صومي.. تنسي!

" يعرف موت القلب بترك الطاعة، و إدمان الذنوب، و عدم المبالاة بسوء الذكر، و الأمن من مكر الله"

و أنت تنشدين النسيان، قد تسلكين طرقًا لا تزيدك إلّا تيها.
تسافرين كي تنسي فتعودي أكثر حزنًا. و تشترين ثيابًا جميلة فلا تدرين لمن ترتدينها. و تقصدين مطعمًا و لا شهيّة لك للأكل. و تلجئين إلى مشعوذ فيُدخلك نفقًا لا ضوء في آخره.
و ماذا لو كان النسيان في ترك ما تُقبلين عليه. إنّه أقرب إليك من مكان تأخذين الطائرة لبلوغه. و أشهى من طعام ما عدت تستذوقينه. و أبقى من ثوب لا ترتدينه لمن تنتظرينه، و قد يخذلك، بل لربّ سيراك فيه و ينتظرك.
هل أجمل من ثوب لا يُشترى، بل يُهدى.
وحده الله يكسو به من اصطفى من عباده فيستر به عيوبهم و يطهّر قلوبهم. و يمنحهم ذلك البهاء الاستثنائيّ. بهاء التقوى.
الصيام رداء الأتقياء. ذلك أن الانتصار على النفس لذّة المؤمنين و العظماء.
لا أعرف غير الصيام فريضة، توسع الصدر، و تقوّي الإرادة، و تزيل أسباب الهم، و تعلو بصاحبها إلى أعلى المنازل. فيكبر المرء في عين نفسه. و يصغر حينها كلّ شيء في عينه. حالة من السموّ الروحي، لا يبلغها إلّا من يتأمّل في حكمة الله من وراء هذه الفريضة.

الصوم يعيد للأشياء قيمتها الأولى بحرمانك منها. فمن صام طاب طعامه. وعلا بين الناس مقامه.. و قد كان نابليون يصوم من دون أن يكون مسلمًا. فقد كان يرى في الصيام صحّة جسديّة و نفسيّة و تقوية للعزيمة.
أمام كلّ أوجاع القلب على اختلاف أنواعها و أسبابها في هذه الدنيا. أمام كلّ مصاب، أقبلي على الصيام. كشيء تريدينه و تتمنّينه. لا طمعًا في الثواب فحسب، بل رغبة في إسعاد نفسك.
أقبلي عليه برغبة جارفة كمن يقصد نبعًا تتدفّق من عينه مياه مباركة تصنع المعجزات. فمن خَبِرَ نِعَمَ الصيام على الجسد و الروح. عاش على ظمأ يستعجل قدوم شهر رمضان. يقوم ليله و يصوم نهاره.. و لا يرتوي من تلك السكينة و الغبطة التي ينزلها الله تعالى على قلوب الصائمين. أعني الصائمين بجوارحهم و حواسهم جميعها. هذه السكينة هي بالضبط ما تحتاجينه في محنتك مع النسيان الذي هو اضطراب نفسي و وجداني يُفسد عليك الحياة لأشهر.
بالصيام يصل الصبر و الرضى إلى منتهاه. من قاوم جوع جوارحه استقوى بالاحتمال على مطالب قلبه.
هل خبرت فرحة الصائم حين يشقّ الفطر ؟ كذلك هي فرحة من فاز بالنسيان بعد حرمان و صبر.

***

" عازز عليّ النوم طيفك على بالي
غير الصلا و الصوم ما يصبّروا حوالي "

من أغنية لبنانيّة أحبّها

وصفات لنسيان رجل

" لا لـــيس أنـــا، إنّـــه غيـــري مـــن يتـــألّم.
مثـــل هـــذا الألـــم، مـــا كـــان فـــي طـــاقتي و احتمالـــي "

آنّا أخمتوفا

ابعدي عن البحر.. و غنّي لُو!

هـــا هـــو ذا البحـــر
بعيونـــــه الزجاجيـــــة المــــــستديرة
تلـــك التـــي لـــم تخلـــق للحـــبّ
و لا خلقـــت للبكـــاء
فمـــا الـــذي أوصـــلك إلـــى هنـــا؟
دمعتـان أمـام جـدار مـن المـوج أنـت
و كلّ البكـاء علـى كتـف البحـر عبـث
تفرّجـي عليـه مـن شـرفتك المـسائيّة
و تعلّمـي أن تكتفـي بزرقـة الاشـتهاء!

هـــا قـــد ركبـــت رأســـك و قـــرّرت النـــسيان... برافـــو عليـــك يـــا " أخت الرجال " !

إن أردت الوصــول إلــى بــرّ الأمــان لا تغــادري البــرّ أصــلًا. ابقــي علــى ســطح الأشــياء. لأنّــك كلّمــا ذهبــت عمقًــا، أعطيــت المــشاعر فرصةً للفتك بك. و فتحت نوافذ تطلّ على مزيد من الذكرى.

تريـــدين أن تنـــسي. تمـــدّدي علـــى الـــشاطئ بعـــد أن تحمـــي بـــشرتك بكـــريم واقـــي مـــن الأشـــعة فـــوق البنفـــسجيّة للحنـــين. (جـــدّدي

وضـــع الكـــريم كـــلّ ســـاعتين حـــسب نـــصيحة أطبـــاء الجلـــد.
فـــالحنين قـــد يختـــرق مـــسامك مـــن حيـــث لا تـــدرين ذلـــك أنّ مـــن
تحبّـــين ملتـــصق بجلـــدك و هـــو مـــا لـــم تحـــسبي لـــه حـــساب. فكـــلّ
الأغاني العربيّة كانت تؤكّد أنّ مكانه في قلبك).
خطـــأ عـــاطفي جغرافـــي آخـــر وقـــع العـــرب فـــي فخّـــه. و لـــو توقّـــق
العـــرب فـــي تحديـــد المواقـــع الإســـتراتجية لمـــا كنّـــا خـــسرنا تلـــك
الحروب !
و لأنّـــك يـــا وليّـــة، لـــست قـــدّ المعـــارك المـــصيريّة اكتفـــي بالتمـــدد
علـــى الـــشاطئ و التفـــرج علـــى البحـــر و أنـــت تحـــت شمـــسيّتك
الزاهيـــة الألـــوان ألوانهـــا الزاهيـــة جـــزء مـــن علاجـــك النفـــسي.
وكذلك كرسي الاستلقاء بوسائله المريحة
لا تبحـــري بذريعـــة النـــسيان نحـــو الماضـــي بحثـــا فـــي جثـــث
البواخر الغارقة عن ذكرياتك الجميلة.
فـــي ذلـــك العـــالم الـــسفلي المعـــتم للمـــشاعر قـــد تفاجئـــك كائنـــات
بحريـــة مفترســـة تتـــربّص بنزولـــك دون زوّادة الأكـــسجين نحـــو
الأسفل... سيحلّ بك ما حلّ بنزار.
فيأخـــذك المـــوج نحـــو الأعمـــاق. و تـــصيحين " إنّـــي أتـــنفّس تحـــت
المـــاء.. إنّـــي أغـــرق.. أغـــرق.. أغـــرق.." و لا أحـــد ســـيستطيع
من أجلك شيئًا.
لا صوت لمن يغرق.
واللي غرق غرق و اللي هرب هرب !

نصيحة:

لقد هرب. لكن لم يأخذ معه الذكريات.
إنّها قصاصك الثاني. ستتشبّثين بها لكونها كلّ ما بقي لك منه.
خطأ. عليك الآن إنقاذ حياتك التي أراد تدميرها.
و في أحسن النوايا هو ليس معنيًّا بخرابها بعده. كفاك إذن غوصًا بحثًا عن غنيمة ما يمكن انقاذها من الماضي . عندما تعثرين داخل باخرة الحبّ الغارقة على صندوق الذكريات الثمينة التي أضعتها تكونين قد عثرت على أسلحة دمارك الشامل. فهلاكك بعد الآن في أن تعيشي على الماضي رهينة رجل يعيش أثناء ذلك حاضره. ليذهب إلى الجحيم هو و ذكرياته.
ما دمت حيّة ستكون لك ذكريات. جمّلي إذن ذكرياتك القادمة بالإصرار على الحياة.
فما الذكريات إلّا تراكم الحاضر ! كما يقول رينيه شار.

***

تجنّبي الأغاني العاطفيّة [إلّا إن كنت مازوشيّة!]

" قل لي 7 أغان تحبّها و أنا أقصّ عليك حياتك و أبكيك "

هي بالضبط هذه الأغاني السبعة التي عليك أن تنسيها في فترة نقاهتك العاطفيّة. لن تجدي أيّة سلوى أو مواساة في الأغاني التي تمجّد الحبّ. أو تلك التي تشكو غدر الحبيب. خاصةً أنّ ثمّة أمرًا عجيبًا حقًّا: عندما تكونين عاشقة أو تكونين في حالة فراق (و حالتك حالة !) تبدو كلّ الأغاني حتى الأكثر سذاجة و كأنّها كتبت لك و لا تحكي إلّا قصّتك أنت بالذات. و على غباء كلماتها.. التي ما كنت تنتبهين لها في الماضي.. ستبكيك ..

إن لم تكوني مازوشيّة فاقلعي عن جلد نفسك و رفع ضغطك بما هبّ و دبّ من أغاني الحبّ.

أمّا قمّة الغباء فالاستماع إلى الأغاني التي كنتما تستمعان إليها معًا في ذلك الزمن الجميل. ما أدراك يا حمقاء ربما كان

يقضي وقتًا جميلًا مع غيرك. بينما فتحت أنت في بيتك " حسينيّة " لتبكيه.

نصيحة:

استمعي إلى الموسيقى. الموسيقى الراقية الجميلة و المبتهجة. فوحدها الموسيقى تجعلنا حزينين بشكل أفضل.

جربي:

الدانوب الأزرق ل "شتراوس"-

البوليرو لرافيل

معزوفات كليدرمان على البيانو

سيمفونيات شوبان المبهجة

احزني بحضارة يا متخلّفة!

ثمّة أغنية لفيروز عليك أن تجعلي منها نشيدك الوطني و هي " بتمرق عليّ امرق ما بتمرق ما تمرق مش فارقة معاي ".

استمعي طبعًا إلى أغاني جاهدة وهبي المرفقة بهذا الكتاب. فقد عملنا على أن يكون ال CD جزءًا من العلاج الذي عليك إتباعه للتعافي من الماضي و بلوغ النسيان.

يمكنك تناول هذه الأغاني على الريق و قبل الأكل و بعده.. و قبل النوم و حال الاستيقاظ. و قبل الفراق و بعده. مدّة العلاج مفتوحة و لا وجود لأيّة تحذيرات خاصّة. لم تسجل أيّة أعراض جانبيّة عدا حالات بكاء لبعض النساء و هنّ يستمعن لأغنية " لك وحدك " أو " صبرت عليك " . لكن

سرعان ما تنسيهن " قبلة النسيان " دموعهن.. و يأخذهن " التانغو " إلى البهجة !

لا تصدّقي الأساطير.. فمؤلّفوها رجال!

تعا و لا تجي
و كذوب عليّ
الكذبي مش خطيي
وعدني إنّو رح تجي
و تعا و لا تجي..
فيروز

إعتبري من ملايين النساء العربيّات كما الأخريات اللائي أهدرن سنوات من أعمارهن في انتظار عودة " الحبيب المنتظر" أبدًا... و منذ الأزل.
في الأساطير و الخرافات وحدها يعود فارس أحلامك ليسأل عنك.
يمرّ بغابة. يرى تلك الجميلة النائمة التي حلّت بها لعنة ساحرة شريرة. يقبّلها فتستيقظ. لقد أبطلت قبلته مفعول

السحر. لكنّ الجميلة النائمة دفعت مئة عام من عمرها في سبات سحريّ مقابل قبلة.
القصّة تمرّ بسرعة على ذلك الزمن الأنثويّ المهدور لتربّينا منذ الصغر على الانتظار و الاستكانة. و على قيمة ما يمنّ به رجل عليك أثناء عبوره. فقبلة منه تعادل دهرًا بمقياس الأنوثة !
في الأوديسة تكافأ بنلوب بعودة زوجها أوليس لا لأنّها على مدى خمس عشرة سنة كانت تحيك رداء الانتظار في النهار و تفكّ خيوطه ليلًا عن وفاء. بعد أن أعلنت لمن عرضوا عليها الزواج أنّها لن تتزوّج حتى تنتهي من حياكة ذلك الثوب. بل لأنّ هذه الأسطورة (التي كتبها رجل)، أرادت أن تقنع النساء اللائي يمثّلن نصف البشريّة بفضائل انتظار النصف الآخر. انطلاقًا من أنّه يحدث للرجال كما القطط و الحيوانات الأليفة أن يتوهوا.. و يصولوا.. و يجولوا.. و يضيعوا في الجزر المسحورة. لكنّهم يعودون دائمًا لتلك المرأة الساذجة التي أثناء ذلك أهدرت أجمل سنوات عمرها في انتظارهم كخطيبة.. أو كزوجة تربّي أثناء غيابهم أولادهم و تصون شرفهم. و تحمي بيتهم (تمامًا كما أراد لها هوميروس).
و إن كانت بنلوب قد سعدت بعودة زوجها بعد خمس عشرة سنة من الانتظار. فأنا أعرف شخصيًّا ثلاث قصص لنساء عربيّات انتظرن خطيبًا أو زوجًا أسيرًا، حكم عليه بالسجن سبع عشرة سنة و عندما أطلق سراحه انفصل عن الفتاة أو المرأة التي ارتبطت به أثناء أسره. لا أريد أن أحكم على

هـؤلاء الرجـال أو ألـومهم، لعلمـي بمـا يلحقـه الأسـر الطويـل مـن دمـار بنفـسيّة رجـل. لكنّنـي لا أسـتطيع إلّـا أن أتعـاطف مـع مـن انتظرنهم لسنوات في سجن الترقب.

يـشهد الله سـبحانه الـذي خلقنـا علـى هـذا القـدر مـن الـصبر و الغبـاء، أنّنـا كائنـات نـذرت عمرهـا للانتظـار حتـى نـسينا مـا كنّـا ننتظـر بالـضبط فـي البدايـة. و حتـى نـسي مـن كنّـا ننتظـرهم انتظارنا لهم.

لكـأنّ فـي قلـب كـلّ امـرأة مرفـأ أو محطّـة قطـار أو قاعـة فـي مطـار، تقـيم فيهـا أثنـاء إقامتهـا فـي بيـت آخـر. فتـصفر القطـارات و ترحـل البـواخر و تقلـع الطـائرات ويعبـر القـادمون و يمـضي المـسافرون و هـي دون وعيهـا فـي انتظـار الـذي يـأتي و لا يأتي...

نصيحة:

قليلًـا مـن الواقعيّـة. العمـر أقـصر مـن أن تقـامري بـه فـي (روليت) الانتظار.

الـذي لا يعـود بعـد يـوم لـن يعـود أبـدًا. وربمـا كـان هـذا أفـضل . مـن أدراك لعـل فـي غيابـه مـن حياتـك حكمـة الاهيـة سـتدركين لاحقا نعمتها .

أوّل قرار: إغلاقك كلّ قاعات الترانزيت في حياتك.

لا تتركـي مقعـدًا تجلـسين و تنـسين نفـسك عليـه. انتظـري واقفـة كـي تـذكّرك ركبتـاك بنفـاذ الوقـت، و نفـاذ قـدرتك علـى الوقـوف. فالـذي تنتظرينـه ربمـا كـان أثنـاء ذلـك ممـدّدًا أو نائمًـا. أقـصد

نائمًـــا مـــع غيـــرك. و قـــد يكـــون تـــزوّج و رزق منهـــا صـــغيرات و صغارًا... أثناء عقد قرانك على الانتظار !

***

كثير من الناس يعيشون طويلًا في الماضي، و الماضي منصّة للقفز لا أريكة للاسترخاء.

توفيق الحكيم

لا تبحثي بعيدًا!

أحببت من أجله من كان يشبهه و كلّ شيء في المعشوق معشوق

في محاولته لنسيانك لن يذهب أبعد منك . فلا تبحثي بعيدا .
إنّه مع أقرب صديقة لك. أو مع عدوّتك اللدود حسب الخيار المتوفّر و حسب درجة حنينه إليك أو كرهه لك.
في الأولى امتداد لك و تنكيل بك. إنّها الطعنة الأكثر إيلامًا و لو استطاع لخانك مع أختك أو أمّك.
في الثانية تحالف مع عدوّتك بحثًا عن امرأة تزايد عليه تشويهًا لصورتك. سيسعد لأنّها بكرهها لك تطمئنه إلى صواب قراره في التخلي عنك. أو تخفّف إحساسه بالخسارة إن كنت من تخلّى عنه. في كل علاقة نسائية سيتغذّى بكلّ ما يشبهك... و ما يؤلمك.
إن لم يعثر على هذه و لا تلك. سيسعى لحبّ امرأة من بلادك.. و ربما من مدينتك و من منطقتك لها لهجتك و لما لا.. تحترف مهنتك !
ستنصب له الذاكرة كمائن في كل امرأة لها شيئ منك أو تذكره بك . سيرى في ذلك اشارة حب سماوية , فيلحق بنبي جديد معتقدا انه ارتد بذلك عنك . في الواقع هو لم يغير ديانته ولا مذهبه غير فقط وجهة قبلته .
لا تهتمّي ما دمت الأصل لكلّ نسخة مقلّدة يهجس بامتلاكها!.

لا تسقطي عنه ديون انتظارك...

الذي لا يعتبرك رأس مال، لا تعتبره مكسبًا

ايزنـهاور

لا تسقطي عنه ديون انتظارك السابقة، فهو ليس " عالمًا ثالثًا ". لقد كان يومًا عالمك الأوّل. بل كلّ عالمك.
إن أعفيته من جريمة هدر ما مضى من سنين عمرك، تكونين قد أعطيته حقّ استباحتك من جديد و هدر عمرك الآتي.
كوني ضنينة عندما يتعلّق الأمر بالوقت. فرصيدك منه كأنثى سريع النفاذ. وقتك لا يقاس بعملة وقته ولا صبرك يزن وزر صبره. لكنّ حسابك يصبّ في حسابه. ما سيأخذه من خزينة قلبك سينتهي في أرصدته الخاصة التي أمام أوّل بوادر أزمة عاطفيّة ستنهار الانهيار الشاهق لبورصة " وول ستريت "... أيّام الهزّات الماليّة العالميّة الكبرى.

كلّ دفاتر توفيرك المضني لامتلاك " بيت الأحلام " قد ذهبت مع الريح و تبخّرت بفعل الإفلاس المفاجئ لمصرفه. أنت لم تضاربي في أسواق البورصة العاطفيّة. لقد وضعت كلّ مدّخرات عمرك في مصرف صغير يديره " رجل واحد" ائتمنته على آمالك. ما ظننت العواطف سوقًا ماليّة قد تنهار كقصور ورقيّة. لكن عليك الآن أن تصدّقي ذلك !

نصيحة:

أمّا و قد خسرت كلّ شيء.. و رأيت بأمّ عينك كلّ ما جمعته فلسًا، فلسًا، يومًا بعد يوم على مدى أعوام من الوهم العشقيّ يتبخّر، و معه مدخراتك العاطفيّة. تعلّمي بعد الآن من المصرفيّين درسًا هامًا. لا تستثمري كلّ مدّخراتك في بنك العواطف .

فربما كان بنكًا وهميًّا، أسّسه مضارب يلعب في سوق الأسهم بصغار المستثمرين و بالغبيّات من النساء اللّائي يصدقن العثور على " الطائر النادر " بين الرجال، و جاهزات أن يدفعن عمرهن من أجله.

لتكن لك سلّة عمولات. احمي نفسك بعمولات احتياطيّة يديرها العقل لا القلب.

فمن يملك اليوم عملة واحدة، و وجهًا واحدًا خاسر لا محالة. تحتاجين أيضًا إلى عدّة ألسنة للكذب و النفاق و الغش، فلا أحد سيصدّق صدقك، أو يثمّن وفاءك للأمانة، يلزمك

عزيزتـــي ســلّة أقنعــة تتعــاملين بهــا مــع الرجــل الــذي تحبّــين. فهــو يملك أقنعته حتمًا!

***

الأمــس هــو شــيك ملغــى، و غــدًا هــو شــيك مؤجــل. و اليــوم فقــط هو النقود التي تملكها فأنفقها بحكمة.

كاي لينوس

لا تبكي إلّا رجلًا واحدًا في حياتك...

"الإنسان في حبّه الأوّل يبحث عن حبيب.. و في حبّه الثّاني يبحث عن الحبيب نفسه"

المرأة تأتي مرة واحدة في حياة الرجل. و كذلك الرجل في حياة المرأة. و كلّ القصص الأخرى هي محاولات للتعويض فحسب.

اسألي نفسك أيّ رجل هذا الذي تبكين. الأصل أم نسخة مزورة عنه. إن كان الثاني فسيمكنك ما حييت العثور على نسخ أخرى منه.

أمّا إن كان حبّ حياتك فعزاؤك أنّك لن تعرفي حزنًا بعد حزنه. كلّ فراق بعده سيبدو صغيرًا. كلّ جرح بعد جرحه سيلتئم. لقد دفعت ضريبة العواطف الشاهقة الكبيرة.

و بعد هذا الرجل لا رجل سيستطيع الوصول بك حزنًا إلى مشارف الموت. وهذا في حد ذاته خبر يستحق التفاؤل . أنت لن تبكين بحرقة سوى رجل واحد في حياتك .

* * *

أن تكون أول حبيب للمرأة .. لا يعني شيئا ، ينبغي أن تكون حبيبها الأخير ففي ذلك كل شيئ .

دوناي

إنّه "التستوستيرون" يا عزيزي !

أصعب الألم أن يكون آخر الحلول جرح من تحبّ!

الفقيد الجميل طلال الرشيد

غالبًا ما أثناء دفاعنا عن الحبّ نرتكب في حقّ من نحبّ أخطاءً لا تغتفر. نقول كلامًا جارحًا عكس الذي نودّ قوله. نهدّد بما ندري أنّنا لن نقدم عليه. ندّعي قيامنا بما لم نفعل.

أمام الخوف من الفقدان، أو تحت تأثير نيران الغيرة، لا عاشق يشبه نفسه. و بقدر قوّة الحبّ يكون عنف العاشقين.

أنت تعذّب الآخر لأنّك تتعذّب به. و أنت تتعذّب به لأنّك ما زلت تحبّه. و كان أسهل أن تقول له هذا. لكن تجد نفسك تقول له العكس تمامًا لتؤلمه.

و برغم ألمه و عذابه بك سيقلب اللعبة و يعطيك إحساسًا أن لا شيء مما قلته آلمه. و حينها يصبح هدفك أن تدميه. فتقول كلامًا يدميك أنت، و تندم عليه. و سيردّ عليك بما يتركك تنزف لأيّام.. بينما هو ينزف بك على الطرف الآخر!

أمام هذه العواطف الفوّارة المدمّرة لكلا العاشقين. يصبح الفراق نوعًا من القتل الرحيم.

ذلك الحبّ الذي ولد في لحظة شاعريّة. وسط الانبهار و الدوار و رجفة البوح الأوّل. ذلك الحبّ الذي توقّفت الكرة الأرضيّة عن الدوران اندهاشًا بحدث قدومه. هو الآن إعصار لا يبقي على شيء قائمًا. يقتلع في طريقه كلّ ما كان جميلًا في حدائق الحبّ. و يترك قلوب العشاق للعراء.

رجاء... أوقفي المجزرة. لا تدمّري بيدك أجمل ما أهدتك الحياة من ذكريات. لا تتراشقي معه بالكريات المحرقة للغيرة. إنّه الرجل الذي أحببت. الذي كان أنت، قبل أن.... .

فليكن، دعيه يمضي بسلام. ستحكم بينكما الأيّام.

في هذا الموقف بالذات اختبري طينتك، قوّي إرادتك..
و قاومي نزعتك الأنثويّة للشراسة حتى و إن كانت الأسباب محض هرمونيّة!
بما أنني أشتمّ رائحة رجال يتجسّسون علينا بين الصفحات.
سأتوجّه إليهم مباشرة لأوضّح أن عدوانيّة المرأة لا تعود غالبًا لمزاجها السيء بل لأنّ الحبّ يجعلها كذلك. و هذا حسب دراسات علميّة تجزم أنّه عندما تحبّ المرأة ترتفع لديها نسبة هرمون " التستوسيترون " الذكري المرتبط بالنزعة العدوانيّة. (ربما نبّهكم هذا الاكتشاف إلى عدم الثقة بامرأة تلاطفكم و تسايركم و توافقكم على كلّ شيء.
و طمأنكم بالمقابل لصدق عواطف نساء بطباع عربيّة شرسة !)
هذه الدراسة نفسها توصّلت إلى أنّ الرجال حين يقعون في الحبّ تتراجع لديهم مستويات " التستوستيرون " إيّاه فيصبحون لطفاء و رقيقي المشاعر و عاطفيّين. و مرهفي الحسّ. و قبل أن تصدر هذه الدراسة. كان رولان بارت قد قال " عندما يحبّ الرجل يدخله العنصر الأنثويّ ".
هل علينا أن نستنتج أنّ رجلًا أصبح فجأة عنيفًا و ذكوريًّا في معاملته لنا هو رجل توقف عن حبّنا ؟
و هل على الرجال أن يدركوا أنّ امرأة ما عادت تردّ على رسائلهم الهاتفيّة بعنف و شراسة بل بأدب و لطف. هي امرأة قرّرت أن تهدي شراستها لرجل آخر ؟

ليسعد الرجل بالحبّ المضاد الذي تشهره عليه امرأة. لا يكون الحبّ أصدق منه إلّا لحظة يطلق فيها عليك نار الكلمات كيفما اتفق.
ذات يوم ستتوجّه الطلقات لصدر رجل غيره. لكنّ القتيل سيكون هو المتمنّي طلقة تحييه.. لولا أنّه سبق للنسيان أن قتله في قلب تلك المرأة !

* * *

عندما تكره المرأة رجلا لدرجة الموت .. فاعلموا أنها كانت تحبه لدرجة الموت .

مارك توين

كما ينسى الرجال

أفضل ما يمكن توقعه من الرجال هو النسيان

فرانسوا مورياك

عـاودتني تلـك الأمنيـة ذاتهـا: ليـت صـوتها يبـاع فـي الـصيدليات لأشـتريه. إننـي أحتـاج صـوتها لأعـيش. أحتـاج أن أتناولـه ثـلاث مـرات فـي اليـوم. مـرّة علـى الريـق، ومـرّة قبـل النـوم، ومـرّة عنـدما يهجـم علـيّ الحزن أو الفرح كما الآن.

أيّ علـم هـذا الـذي لـم يـستطع حتـى الآن أن يـضع أصـوات مـن نحـبّ فـي أقـراص، أو فـي زجاجـة دواء نتناولهـا سـرًّا، عنـدما نـصاب بوعكـة عاطفيّة بدون أن يدري صاحبها كم نحن نحتاجه.

عابر سرير

ذلك الصمت الآثم للرجال

"ما عاد بإمكاننا أن نتحدّث مع من نحبّ و ليس هذا بالصمت"

رينيه شار

إن كان سلاح المرأة دموعها. أو هكذا يقول الرجال الذين ما استطاعوا الدفاع عن أنفسهم بمجاراتها في البكاء. فقد عثر الرجل على سلاح ليس ضمن ترسانة المرأة. و لا تعرف كيف تواجهه لأنّها ليست مهيّأة له في تكوينها النفسي. لذا عندما يشهره الرجل في وجهها يتلخبط جهاز الالتقاط لديها و يتعطّل رادارها. إنّها تصاب بعمى الأنوثة أمام الضوء الساطع لرجل اختار أن يقف في عتمة الصمت.

لا امرأة تستطيع تفسير صمت رجل. و لا الجزم بأنّها تعرف تماماً محتوى الرسالة التي أراد إيصالها إليها. خاصة إن كانت تحبّه. فالحبّ عمًى آخر في حدّ ذاته. (أمّا عندما تكفّ عن حبّه فلا صمته و لا كلامه يعنيانها و هنا قد يخطئ الرجل في مواصلة إشهار سلاحه خارج ساحة المعركة على امرأة هو نفسه ما عاد موجودًا في مجال رؤيتها !) كما أنّ بعض من يعاني من ازدواجيّة المشاعر يغدو الصمت عنده سوطًا يريد به جلدك فيجلد به نفسه.

تكمن قوة الصمت الرجالي في كونه سلاح تضليلي. إنه حالة التباس كتلك البدلة المرقطة التي يرتديها الجنود كي يتسنّى

لهم التلاشي في أيّة ساحة للقتال. إنّهم يأخذون لون أيّ فضاء يتحرّكون فيه.

إنّه صمت الحرباء.. لو كان للحرباء صوت. تقف أمامه المرأة حائرة. تتناوب على ذهنها احتمالات تفسيره بحكم خدعة الصمت المتدرّج في ألوانه من إحساس إلى نقيضه.

صمت العشق.. صمت التحدي.. صمت الألم.. صمت الكرامة.. صمت الإهانة.. صمت اللامبالاة.. صمت التشفي.. صمت من شفي.. صمت الداء العشقي.. صمت من يريد أن يبقيك مريضًا به.. صمت من يثق أنّه وحده يملك دواءك.. صمت من يراهن على أنّك أوّل من سيكسر الصمت.. صمت من يريد كسرك.. صمت عاشقين أحبّا بعضهما حدّ الانكسار.. صمت الانتقام.. صمت المكر.. صمت الكيد.. صمت الهجر.. صمت الخذلان.. صمت النسيان.. صمت الحزن الأكبر من كلّ الأحزان.. صمت التعالي.. صمت من خانك.. صمت من يعتقد أنّك خنته و يريد قتلك بصمته.. صمت من يعتقد أنّك ستتخلّين عنه يومًا فيتركك لعراء الصمت.. الصمت الوقائي.. الصمت الجنائي.. الصمت العاصف.. و الصمت السابق للعاصفة.. صمت الانصهار و صمت الإعصار.. الصمت كموت سريري الحبّ.. و الصمت كسرير آخر للحبّ ينصهر فيه عاشقان حتى الموت.. الصمت الذي ليس بعده شيء.. و الصمت الذي ينقذ ذلك "الشيء" و منه تولد الأشياء مجدّدًا جميلة و نقيّة و أبديّة بعد أن طهّرها الصمت من شوائب الحبّ.

الـصمت اختبـار، طـوبى لمـن نجـح فيـه مهمـا طـال. إنّـه يفـوز إذن بالتاج الأبدي للحبّ.. أو بإكليل الحريّة.

نصيحة

تعلّمـي أن تميّـزي بـين صـمت الكبـار و الـصمت الكبيـر. فـصمت الكبار يقاس بوقعه، و الصمت الكبير بمدّته.
الكبـار يقولـون فـي صـمتهم بـين جملتـين أو فـي صـمتهم أثنـاء عـشاء حمـيم مـا لا يقولـه غيـرهم خـلال أشـهر مـن الـصمت. ذلـك أنّ الـصمت يحتـاج فـي لحظـة مـا أن يكـسره الكـلام ليكـون صمتًا.
أمّـا الـصمت المفتـوح علـى مزيـد مـن الـصمت، فهـو يـشي بـضعف أو خلـل عـاطفيّ مـا يخفيـه صـاحبه خلـف قنـاع الـصمت خوفًـا مـن المواجهـة. وحـده الـذي يـتقن متـى يجـب كـسر الـصمت. و ينتقي كجوهرجي كلماته بين صمتين يليق به صمت الكبار.
تعلّمـي الإصـغاء إلـى صـمت مـن تحبّـين، لا إلـى كلامـه فقـط. فوحده الصمت يكشف معدن الرجال.

في مواجهة سياسة التجويع الهاتفي

و عندما سينتهي من تلميع حذائه
بكحل بكائك
و بعدما يتعطّر
منعا لعرق الذّكريات
قد يتذكّر...
و يهاتفك..سيّد الهاتف!

ذات يوم دون إنذار سيعلن عليك الهاتف الإضراب العاطفي المفتوح.. و بعد و لائم الحبّ و كلّ أطباق الأشواق الدسمة. التي كان يمدّ موائدها لك حدّ إصابتك بالتخمة و بالطفرة العاطفيّة. عليك الآن أن تختبري " الريجيم الهاتفي " و " الطفرة " بما تعنيه الكلمة لبنانيًّا.

أنت طفرانة و جوعانة.. أيّ فقيرة إلى " يونيت " هاتفيّة واحدة منه تسدّين بها رمقك. ستنامين كلّ ليلة على جوعك. تطبخين حصى الأمنيات كما تلك الأعرابيّة، كي تغفي.

أنت لا تملكين القوّة بعد و لا تدرين كم ستدوم مدّة تجويعك.. و إعلان الحصار الغذائي عليك. لكي تأخذي قرار أن تكوني من يسحب المصل الهاتفي الذي عشت معلّقة إليه أشهرًا، و تمّ إغلاقه بنيّة قتلك.

لكـــن مـــع الوقـــت ستـــستيقظين، و تأخـــذين قـــرار اقـــتلاع ذلـــك المـــصل الموصـــول بقلبـــك. و تعـــودين إلـــى الحيـــاة.. بـــبعض الـــضمادات حيـــث كـــان موقـــع الجـــرح. و ترفـــضين الحيـــاة تحـــت رحمة دقّة هاتفيّة.

برافـو يـا شـاطرة. لـم يخلـق الرجـل الـذي يهـديك " دقـة الرحمـة " كنوع من الموت الرحيم.

ليذهب إلى الجحيم!

***

"النساء كالقطط يقعن دائما على قوائمهن"

تلك الآلة التي تهيننا

"في القرن العشرين الحبّ هو هاتف لا يدقّ"

قول لكاتب فرنسي

و ماذا لو أن المشكل بدأ يوم نسي الناس في هذا الزمن المسرع المجنون لغة العيون. التي كانت لغة الإنسان الأولى لنقل أحاسيسه للآخر. حتى في الأفلام ما عاد الناس ينظرون إلى بعضهم البعض مطوّلًا تلك النظرات المؤثرة.. الآسرة.
أذكر الصديق الكبير نور الشريف الذي قال لي مرة " الممثّل الحقيقي هو الذي تقول عيناه الجملة قبل أن يلفظها..حتى أنّه أحيانًا لا يحتاج إلى قولها ". لكأنّه كان يتحدّث عن العاشق.
اليوم بالذات قرأت مقابلة للمخرج الأمريكي الكبير ستيفن سبيلبرغ يقول فيها:
" يوم نتوقف عن الكلام بالعيون. ستكون نهاية المجتمع ".
أنكون انتهينا لأنّنا بدأنا نتكلّم لغة التلفون.. و لغة التلفزيون و لغة الانترنت و نتبادل الأشواق عبر الرسائل الهاتفيّة و التلفزيونيّة.. و من خلال " الشات ". دون أن نرى عيون من نتحدّث إليه. و لا هو يرى عيوننا. جميعنا عيوننا على الشاشة. و قلوبنا جميعها معلّقة بجهاز يتحكّم في مزاجنا و أحاسيسنا .

. مـــا عـــاد تعريـــف الحـــبّ اليـــوم "إثنـــان ينظـــران فـــي الاتجـــاه نفـــسه" بـــل اثنـــان ينظـــران إلـــى الجهـــاز نفـــسه. و لا صـــارت فرحتنا في أن نلتقي بمن نحبّ. بل في تلقّي رسالة هاتفيّة منه.

ماتـــت الأحاســـيس العاطفيّـــة الكبيـــرة. بـــسبب تلـــك "الأفـــراح التكنولوجيّـــة" الـــصغيرة التـــي تـــأتي و تختفـــي بـــزرّ منـــذ ســـلّمنا مصيرنا العاطفي للآلات.

انتهى زمن الانتظار الجميل لساعي البريد.

صندوق البريد الذي نحتفظ بمفتاحه سرا , ونسابق الأهل لفتحه .

الرسائل التي نحفظها عن ظهر قلب و نخفيها لسنوات . الأعذار التي نجدها لحبيب تأخرت رسالته أو لم يكتب الينا .

اليوم ندري أن رسالته لم تته .. ولا هي تأخرت .

بامكاننا أن نحسب بالدقائق وقت الصمت المهين بين رسالة .. والرد عليها !

ظاهرة الاختفاء المفاجئ لدى الرجال

قل يا رجل...
إلى أيّة غيمة تنتمي شفتاك
إلى أيّة أعاصير تنتمي يداك
صوب أيّة وجهة تمضي نواياك
كي أسافر في حقيبة مطرك
و أحطّ حيث تهطل

سيختفي. توقّعي ذلك منذ أوّل ظهور له في حياتك.
الرجل نجم مذنّب يختفي من سمائك دون أيّ إنذار من أيّ مرصد جويّ. عليك آنذاك أن تتحوّلي إلى منجّمة. أو تتعلّمي الضرب بالرمل و خلط الحصى. فمهم جدًّا حال دخولك في علاقة عاطفيّة أن تكون لك دراية بالتنجيم. فالتفكير المنطقي لا يساعدك بتاتًا على العثور على الأجوبة التي ستؤرّقك لاحقًا.
كالبصارات على أيام أمّك لا على أيام التنجيم بالكمبيوتر عليك ربط رأسك و الجلوس أمام كرة من البلور لمتابعة

حركـــــة المجــــرات و الكواكـــــب التــــــي تـــــدور حولهـــــا النجـــوم " المذنّبة " الرجالية.
أو حـــسب وصـــفة نـــسائيّة عربيّـــة " لـــضرب الخفيـــف "، أذيبـــي قطعـــة رصـــاص فـــي وعـــاء حديـــدي صـــغير و عنـــدما تتحـــوّل إلـــى ســائل فـــضي، ضـــعي بـــين رجليـــك مهراسًـــا حديـــديًّا فيـــه مـــاء أحـــضرته مـــن البحـــر و ارمـــي الـــسائل فـــي المهـــراس. ســـيتطاير المـــاء بقـــدر مـــا فـــي حياتـــك مـــن شـــرّ و حـــسد و يتجمّـــد الـــسائل آخـــذًا أشـــكالًا عجيبـــة. عليـــك فـــكّ طلاســـمها و مـــساءلة أصـــغر تفاصـــيلها و نتوءاتها.
" أيـــن اختفـــى المخلـــوق؟ "، " و لا قـــدّر الله مـــع مـــن؟ " أو اقلبـــي فنجـــان قهوتـــك و ســـائليه " متـــى تنقلـــب الأيـــام عليـــه فيعـــود ؟ ".. و لأن لا درايـــة لـــك بالخلطـــات الـــسحرية و لـــم يمـــنّ الله عليـــك إلّـــا بالأســـئلة.. أمّـــا الأجوبـــة فهـــي فـــي علـــم الغيـــب و لـــدى أطبـــاء علـــم الـــنفس الرجـــالي. فستقـــضين أيامًـــا منهمكـــة فـــي اســـتعادة كـــلّ كلمـــة قالهـــا أو قلتهـــا خـــلال آخـــر اتـــصال هـــاتفي. عـــساك تعثـــرين علـــى " كلمـــة الـــسر " التـــي اختفـــى بعـــدها عـــن مجال الرؤية.
يلزمـــك الـــصندوق الأســـود الـــذي وحـــده يحمـــل ســـرّ اللحظـــات الأخيـــرة فـــي كـــلّ كارثـــة جويّـــة. هـــل الـــسبب خطـــأ " إنـــساني " أم " خلـــل تقنـــي " فـــي اخـــتلال العلاقـــة ؟ نفـــاذ وقـــود الحـــبّ ؟ الاصطدام القدري بحبّ آخر تخبئه لك أم له الأيام ؟

نصيحة:

لا تـــستنزفي نفـــسك بالأســـئلة كـــوني قدريّـــة. لا تطـــاردي نجمًـــا هاربًا فالسماء لا تخلو من النجوم.
ثمّ ما أدراك ربما في الحبّ القادم كان من نصيبك القمر !

دعي هذا الأرنب يهرب!

لا سبيل للرجل كي ينتصر على المرأة إلّا بالفرار منها

جون باري مور

اعلمي يرحمك الله أنّ الرجل أرنب أمام أوّل مواجهة يهرب. لأنّه لا يملك تبريرًا لأيّ تصرّف و لا أيّ جواب على أسئلتك الكثيرة. في الهروب مخرج مشرّف له.
يكفي أن يسمّي ذلك انسحابًا. هذا ما يقوله لنفسه وعليك أنت أن تسمّي ذلك ما شئت فهو لن يكون هنا لمناقشتك في تعريف الأشياء.
أين يهرب؟ اطمئني هو لا يهرب دائمًا إلى امرأة أخرى. في البدء كحيوان مطارد أو حيوان جريح سيهرب إلى مغارته.
يستعيد نفسه و أنفاسه يرتّب أوراقه يبتهج بحرّيته و بإنقاذه رجولته مما يراه " فخًّا نسائيًّا " أو عاطفيًّا. لكنّه لن يكون سعيدًا تمامًا. يلزمه بعض الوقت ليصمد في وجه رياح الحنين التي تعود به إلى الوراء.
بعدها ستعود له الروح تدريجيًّا و تبدأ أطرافه في التحرك كحشرة مقلوبة على ظهرها سيتخبّط بعض الوقت بحثًا عن امرأة أخرى تساعده على الوقوف على قوائمه. و عندما سيجدها " أعني عندما ستجده " ستراوده المخاوف نفسها و يكرّر معها سياسة الأرنب.

نصيحة:

لا تحزني على أرنب فرّ خارج حياتك. إنّ رجلًا هرب مرة.. سيهرب كلّ مرّة من كلّ امرأة !

الرجل.. هذا الكائن الذي لا يعتذر!

في الأمور العظيمة يتظاهر الرجال كما يحلو لهم. و في الأمور الصغيرة يبدون على حقيقتهم.

شامبور

يحتاج الرجل العربيّ أن يضعك في قفص الاتهام كي يمنّ عليك بالعفو، و يكون حينها "سيّدك".

الرجل حاكم عربيّ صغير لم تسمح له الظروف أن يحكم شعبًا. لكن وضعك الله في طريقه. و أنت شعبه.

و عليك أن تعرفي إذن أنّك لن تسمعي منه كلمة اعتذار ما حييت... و مهما اقترف من أخطاء في حقّك. لقد أهدر سنوات من عمرك - و ربما عمرك - و بدّد طاقتك للعمل، و اغتال ما كان يمكن أن يكون أكبر انجازاتك. و سطا على رصيدك العاطفيّ و على بنك أحاسيسك و راح يبذّرها هكذا على مرأى منك. لن تستطيعي برغم ذلك محاسبته.

هل حاكم شعب عربيّ واحد، حاكمًا على تبذيره، و سوء تصرفه بثروة ليست من خزانة أبيه ؟ لا تنتظري منه أيضًا اعتذارًا، هل أنت لا قدر الله مواطنة أوروبيّة أو أمريكيّة لتطالبي رجلًا بأن يعتذر لك لأنّه كذّب عليك أو خان وعوده الانتخابيّة (أيام الخطوبة) أو اختلس أحلامك و أنفقها على

أخرى و مسكته بالجرم المشهود كما أمسكت الصحافة ببيل كلينتون متلبسًا بتدريب مونيكا في البيت الأبيض.
أنت تنعمين بحبٍّ ديمقراطيّ. تملكين فيه حقّ الاستماع لرجل بدل أن يعتذر عن ظلمه لك و سوء ظنّه بك، ينتظر اعتذارك عن أمر لا علم لك به. وليد ظنونه و مخاوفه الرجالية و شكوكه، فككلّ حاكم عربيّ أيضًا العاشق العربيّ " مشكاكًا " و لا يتوقع إلّا المكائد، و الخيانات من أقرب الناس إليه.
توقّعي أن يقاصصك أسابيع طويلة و أشهرًا إلى أن تستسلمي راكعة له.

نصيحة:

كلّ دفاع منك سيوظّف ضدّك. أصمتي... لا تقسمي أو تبكين فتضعي نفسك في موقف المتهم.
أنت تؤكّدين له بتصرفّك هذا أنّه على حقّ و أنّك مذنبة.
خاصّة أن لا جدوى من الكلام. لا شيء ممّا تقولينه سيصدّقه.
هل يصدّق طاغية من يقول له أنّه يحبّه ويخلص في حبه ؟
ابتعدي عن رجل لا يملك شجاعة الاعتذار, حتى لا تفقدي يومًا احترام نفسك و أنت تغفرين له إهانات و أخطاء في حقّك، لا يرى لزوم الاعتذار عنها. سيزداد تكرارًا لها.. و احتقارًا لك.
لو عرف الرجال عظمة رجولة تعترف بالخطأ، لتجمّلوا بالاعتذار.

+ بهـذه الـصفة بالـذات يقـاس الـسموّ الخلقـي لرجـل، يـرى فـي اعترافه بالخطأ فضيلة لا إنقاصًا من كرامته.

ليس الحبّ و إنّما النسيان هو رجل حياتك

"الحبّ يقتل الوقت.. و الوقت يقتل الحبّ"

نقضي عمرنا في التغزّل بالحبّ، و التجمّل استعدادًا له. و التضحية في سبيله حين يجيء.. و التأقلم مع مزاجه المتقلّب و تجميل كوارثه، و التغاضي عن عواقبه.. و عن عيوبه.
نعدّ له أجمل غرفة في قلبنا. ثمّ لا نلبث أن نسلّمه قلبنا شقّة مفروشة. و نهيم مشرّدين دون مأوى. الحبّ احتلال نرضى به، نطالب به محتلًا و مستبدًّا. لاعتقادنا أنّه رجل حياتنا الأمثل و الأشهى و الأبقى.
ثمّ مقابل أيّام من السعادة ندفع الثمن أشهرًا و أعوامًا من الشقاء.. فلا أحد قال لنا أنّ الحبّ عابر سبيل يمرّ بنا و يواصل طريقه من دوننا مهما طال المشوار. [بينما النسيان هو المقيم في أيامنا و سريرنا و مفكّرتنا إنّه رجل حياتنا].
إن كان الأمر كذلك.. لماذا إذن لا نستعد له و نتجمّل له و نحتفي به و ندلله و هو سندنا الحقيقي و الوحيد في هذه الدنيا. عندما نفكّر بمنطق ألا نشعر بالحياء لأنّنا مقصّرون تجاهه . يكفي أنّنا أوجدنا للحبّ عيدًا. و نسينا أن نحتفي بالنسيان برغم كونه من يأتي كلّ مرة لنجدتنا من ظلم الحبّ.

إن كـــان للحـــبّ يـــوم فـــالمنطق يقتـــضي أن يكـــون للنـــسيان موســـم أو فصل هو سيّده و مولاه.

مـــا دمنـــا غيـــر جـــادين فـــي ردّ الاعتبـــار للنـــسيان ســـيظلّ الحـــبّ يـــستفرد بنـــا و يـــستقوي علينـــا و يـــدير فينـــا "كراعُـــو" كمـــا نقـــول فـــي الجزائـــر أيّ يعمـــل فينـــا مـــا يعملـــه الكلـــب بكعبـــه فـــي الأكـــل الـــذي يقـــدّم إليـــه فيقلـــب الإنـــاء و يخلـــط الطعـــام. و يعبـــث بـــه قبـــل أن يأكله.

بينمـــا يقـــدّم لنـــا النـــسيان الأكـــل الـــصحيّ و ال "bio" حفاظًـــا علـــى صحّتنا. و إنقاذًا لنا من "سمّ البدن" العاطفي !

بلى.. أنت تستطيعين ذلك

“Yes we can”

الشعار الانتخابيّ لأوباما

المستقبل يملكه هؤلاء الذين يؤمنون بجمال أحلامهم

روزفلت

إن كان أوباما قد استطاع تحقيق معجزة تغيير وضعه التاريخي من سليل عبد إفريقي إلى رئيس يحكم أعظم دولة في العالم من بين مواطنيها من كانوا سادة أجداده. فأنت أيضًا تستطيعين التخلص من استعباد رجل لك و نسيان آثار قيده على معصمك. و الانطلاق نحو إنجازات حياتك.

الحريّة هي ألّا تنتظري أحدًا.

فما العبوديّة سوى وضع نفسك بملء إرادتك في حالة انتظار دائم لرجل ما هو إلّا عبد لالتزامات و واجبات ليس الحبّ دائمًا في أولويّاتها.

الحريّة أن تكوني حرّة في اختيار قيودك التي قد تكون أقسى من قيود الآخر عليك. إنّه الانضباط العاطفي و الأخلاقي الذي تفرضينه على نفسك. و تحرصين عليه كدستور.

الحرية هي صرامتك في محاسبة الذات و رفضك تقديم حسابات لرجل يصرّ أن يكون سيّدك و عزرائيلك الذي يملك جردة عن كلّ أخطائك و لا علم لك بخطاياه.

تعلّمـــي أن تفرّقـــي بـــين القيـــود و الأصـــفاد. أرفـــضي الأخيـــرة حتـــى و إن جاءتـــك مـــن ألمـــاس (كتلـــك التـــي أهـــداها أحـــد الأثريـــاء إلـــى حبيبتـــه و صـــمّمت خصيـــصًا لـــه مطابقـــة للأصـــفاد التي يضعها البوليسي في معصم الجناة).

فقبولـــك بهـــا و لـــو عـــشقًا للحبيـــب ســـتقودك إلـــى دخـــول معـــسكرات الاعتقـــال العـــاطفي بـــشبهات لا علـــم لـــك بهـــا، تعـــشّش فـــي رأس سجّانك.

تـــذكّري أنّ القيـــد لا يحمـــي الحـــبّ بـــل يـــدمّره. لأنّـــه لـــيس دليلًـــا عليـــه بـــل دليـــل شـــك فيـــه. و أيًّـــا كـــان ولعـــك بـــسجّانك ذات يـــوم ستكسرين قيده.

فلا بدّ للّيل أن ينجلي و لا بدّ للقيد أن ينكسر

قال الشابي في رائعته " إذا الشعب يومًا أراد الحياة ".

أدركونا بفيل!

"علمتني الدنيا
أن ليس كلّ الذّئاب أعداء
و لا كلّ العصافير أصدقاء
و لا كلّ الأرانب أليفة،
و لا كلّ الأسود مفترسة
أن ليس كلّ الأطفال أنقياء،
و لا كلّ الثّعالب ماكرة
و لا كلّ العقارب سامّة،
و لا كلّ الكلاب أوفياء"

الكاتبة الإماراتيّة شهرزاد

في كتاب " الرجال و النساء " و هو كتاب جدلي حواري بين الكاتبة فرنسواز جيرو و الفيلسوف الفرنسي برنارد هنري ليفي. يقول ليفي أن أروع ما قيل في الإخلاص قرأه في نصّ لفرنسواز دي سال تقول فيه " إنّ الرجل يشبه الفيل الذي لا يرغب أبدًا في تبديل الأنثى التي اختارها. فهذا الحيوان الضخم الجثّة هو أجدر الحيوانات وفاءً على الأرض. تصوّري زوجين يخلص أحدهما للآخر مخافة

السيدا. فأيّ قيمة لمثل هذا الإخلاص ؟ وحده إخلاص الصوفيين حقيقيّ. إنّهم مخلصون من الطراز الأوّل. لأنّهم يدركون ضعفهم و يعزمون على الصمود. و هذا أروع و أرقى أشكال الإخلاص ".

ملايين النساء في العالم يحلمن بأن يلتقين بهذا الصوفي الزاهد في كلّ نساء الأرض. و الذي لا يهجس سوى بامرأة واحدة. تلك التي اختارها حبيبة لمدى العمر.

و حتى لا نظلم الرجال نقول أنّ بينهم سادة في الوفاء. رجال أوفياء كأنبياء لرسالة. جميلون في تعفّفهم. كبار في عواطفهم. لولا أنّ تلك العواطف الكبيرة تولّد لديهم شكوكًا كبيرة أيضًا. إنّهم لا يثقون في عواطف الطرف الآخر. و لا يتوقّعون أنّ امرأة قد تضاهيهم إخلاصًا و تزيد.

هؤلاء - مع الأسف - غالبًا ما يصنعون عذابهم بأنفسهم و يخسرون حبّ حياتهم. ثمّ ينطفئون من الداخل إلى الأبد، لأنّهم خلقوا للحبّ الكبير. و يأبى قلبهم القبول بفتافيت العواطف. هم ليسوا عصافير إنّهم نسور. فالنسر هو الحيوان الآخر الّذي يكتفي بأنثى واحدة و يبقى مخلصًا لها ما دام حيًّا.

إن أهدتك الحياة هذا الطائر النبيل حبيبًا. إنّها فرصتك لتعيشي أسطورة الحبّ الكبير. حافظي عليه بالصبر على ظلمه. كذّبي شكوكه بالوفاء. اخلصي له مهما طال الفراق. فالطائر النبيل يعود دومًا.

أمّا إن لم تضع الحياة في طريقك سوى الخونة و الكاذبين من الرجال.. فأحبّي فيلًا !

صحيح أنّك ستحتاجين للسفر إلى الهند أو إلى أفريقيا للعثور على نصفك الآخر. لكن هل أنت واثقة من العثور على رجل وفيّ حيث أنت. فالوفاء في تناقص و غوايات الخيانة في ازدياد.
ثمّ أنت مع الفيل تضمنين إلى جانب إخلاصه عدم نسيانه لك. فالذاكرة هي الصفة الأولى التي يعرف بها الفيل (و هو ما لا يتوفّر في النسر).
تصوّري كم أنت محظوظة. بإمكانك أن تباهي أمام صديقاتك بأنّك عثرت على مخلوق وفيّ لن ينساك مدى الحياة، تهجس به جميع النساء !
أليس النسيان مأخذنا الأوّل على الرجال ؟
صدّقيني لا أرى غير الفيل لتحقيق مطالبنا.. أعني في حدود " إمكانياته " التي لن نذهب حدّ مطالبته باستعمالها جميعها !

نصيحة:

الحياة غابة. (أنفقت عمري قبل أن أكتشف ذلك !).
كلّما تقدّم بك العمر ازددت توغّلًا في الأدغال. و وجدت نفسك مضطّرة إلى التّعامل مع حيوانات بمظهر بشري. خاصة إن كنت امرأة فراشة. تخال العالم مرجًا من الزهور. عليك أن تأخذي علمًا بأنّ كلّ كائن ترينه سواء كان رجلًا أو امرأة يخفي كائنًا آخر.
إنّهم يختلفون فقط في الفصيلة التي ينحدرون منها. تجدين بينهم الحصان و الطاووس و الثعبان و الدولفين و الثعلب

و العقـــرب و الكنـــاري. و الكلـــب و القـــطّ و الفيـــل و الزرافـــة و الأســـد و الأرنـــب و الفـــأر و الخنزيـــر. و عليـــك أن تتعرّفـــي علـــى الجزئيّـــات الحيوانيّـــة التـــي فـــي كـــلّ واحـــد قبـــل أن تـــسلّميه نفـــسك. و قبـــل حتـــى أن تـــسلّمي عليـــه. ربمـــا كـــان ضـــفدعًا وصـــنع من سلامك قصّة ينقّ بها في المستنقعات !

و ربمـــا خلتـــه نـــسرًا و إذا بـــه مـــن فـــصيلة العقبـــان و الجـــوارح التي تترقّب لحظة نهشك.

و ربمـــا خلتـــه دولفـــين و رحـــت تـــسبحين معـــه و تلاعبينـــه و إذا بـــه ســـمكة قـــرش تفـــتح فكّيهـــا للانقـــضاض عليـــك. و ربمـــا خلتـــه كلبًـــا و إذا بـــه ذئـــب. أو ظننتـــه قطًّـــا ســـيماويًّا و إذا بـــه يتحـــوّل فـــي بيتك إلى أسد متوحّش.

صـــار لزامًـــا علينـــا أن نـــتعلّم علـــم الفراســـة.. و نتـــابع بـــدل قنـــاة الجزيـــرة القنـــاة المختـــصّة بالحيوانـــات حتـــى لا نخطـــئ فـــي اختيار "حيوان" حياتنا.

كفانا صدمات !

كمائن الذاكرة

" الذاكرة أحسن خادم للعقل، والنسيان أحسن خادم للقلب "

هل تريدين النسيان حقًا؟

افتحي ذراعيك يا ذاكرتي فقد حان استقبال النسيان

ناديا تويني

مذ قرّرت نسيانه، ألم يجتاحك لا تعرفين مكمنه.
في أيّ مكان كان يقيم فيك هذا الرجل بالضبط إلى الآن لا تدرين. فكلّ شيء في جسدك يؤلمك مذ قرّرت ألّا مكان له بعد الآن في حياتك. تفهمين معنى قول نزار " أقصّ جذور هواك من الأعماق ".
الألم لا يوجد على السطح. إنّه في نهايات عصب الأعضاء. في مفاصلك و خلاياك.
كلّ ما فيك يبكيه و يحقد عليه. يبكيك و يتمرّد عليك. و أنت الخصم و الحكم. و القرار و الألم. و عليك أن تحسمي أمرك بحزم: هل تريدين النسيان حقًّا ؟ و حتى عندما تجيبين " بنعم " اسألي نفسك مجدّدًا على طريقة جورج قرداحي " هل هذا هو جوابك النهائيّ ". ففي هذا الموضوع بالذات. ستغيّرين جوابك أكثر من مرّة. حتى بعد انتهاء الوقت المحدّد.

ثـــــمّ.. فـــــي هـــــذا الـــــسؤال بالـــــذات لا تـــــستعيني بـــــالجمهور و لا بـــصديقة. فلـــن يكونـــوا هنـــا حـــين ستخوضـــين ليلًـــا نهـــارًا أشرس معارك حياتك ضدّ الذاكرة. أيّ ضدّ نفسك.
مـــا تـــودّين القيـــام بـــه هـــو بالـــذات أن تبتـــري أجـــزاءً منـــك و أن تـــستبدلي بهـــا قطـــع غيـــار بـــشريّة جديـــدة لا علاقـــة لهـــا بمـــا فيـــك. و لـــيس علـــى قرصـــها المـــضغوط أيّـــة ذكريـــات. أيّ أنّـــك تريـــدين اســـتبدال الـــذاكرة بالنـــسيان، الـــذي هـــو جـــسم غريـــب عنـــك. لـــذا سيرفـــضه جـــسمك فـــي البدايـــة. و تبـــدو عليـــك أعـــراض مـــرض عضوي و نفسي يرافق مثل هذه الحالات.
إن نويـــت علـــى النـــسيان أدخلـــي المعركـــة و أعطـــي الوقـــت وقتًـــا. يحـــدث للجـــسم أن ينـــسجم حتـــى مـــع قلـــب اصـــطناعي يخفـــق فيـــه. ما أدراك ربما كنت أوّل عربيّة تنجح معها التجربة !

***

نترك خلفنا ما يشي بنا

" يا كريم الغياب "

سعيد عقل

إنّ العطاء أحد ملذّات الحبّ، و أحد مقاييسه.
عندما يحبك رجل - أعني عندما يعشقك - يودّ لو اقتسم معك كلّ ما هو له. بل لو منحك كلّ ما يملك و غدا ضيقًا عليك لاعتقاده أنّه يقيم فيك و لا عقارات له في الدنيا سواك.
البعض يفوق كرمه جيبه. لأنّ يده تسابق قلبه. فيمنحك في أيام ما لا يمنحك آخر في سنوات. سيصعب عليك نسيان رجل كريم. (كما يصعب على رجل نسيان امرأة كريمة).
ستظلّ الأشياء بعده تذكّرك أنّه ترك شيئًا من قلبه في كلّ ما هو حولك. و أنّه لم يقصد بسخائه رشوة قلبك بل إسعادك لفرط سعادته بك.
لم تكن لهداياه مناسبة. المناسبة كانت الامتنان اليوميّ للحياة التي وضعتك في طريق قلبه. لكأنّه يريد تطويقك كي لا تلمسي أحدًا سواه أو شيئًا إلّا منه سواءً غلا أو رخص سعره.
لكأنّه يريد أن يحمل كلّ شيء عنك، كلّ هم يشغلك. لفرط تدفّقه سيفيض على كلّ شيء حولك، لا سدّ يقف في وجه رجل يحبّك بجنون. أخطر ما في هذا الرجل أنّه سيصبح عندك مرجعًا للحبّ. لا بمقياس جيبه بل بمقياس قلبه. فالهديّة

بقدر ما يبذل فيها المرء من نفسه، لا بقدر ما ينفق فيها من ماله. و ستتساءلين إن كان الذين مرّوا و لم يتركوا خلفهم شيئًا تلامسينه يشهد بمرورهم ببيتك و بخزانة ثيابك و بمواسم أعيادك قد أحبّوك حقًّا.

نصيحة:

ما كنت لتنتبهي أنّ رجلًا أحببته لسنوات، ما ترك شيئًا خلفه. لولا أنّك حين رحل و افتقدته بجنون، حاولت أن تستعيني على غيابه بأشيائه. فما وجدت شيئًا منه تلمسينه أو تلبسينه.
تمنيت لو أنّك ما ارتديت سوى ما أهداك. لو أحطت نفسك بأشيائه. فأيّ شيء منه كان يكفي ليغطّي احتياجاتك العاطفيّة لأشهر.
لكنّه تركك لعراء الأشياء. و عليك برغم ذلك أن تسعدي. لا شيء حولك أو فوقك سيذكّرك به أو يعذبك بذكراه. لا شيء ستلمسينه ستشمينه و تبكين. لا شيء سيتآمر معه عليك. و يوقظ فيك الحنين.
مع الوقت ستجدين عزاءك في غناك عنه. و الاستغناء بداية النسيان !
ربما ما كان بخيلًا و لا أنانيًّا. و ربّما كان سخيًّا بما هو أثمن من أن يُشترى، لكنّه ما كان معنيًّا بتطويقك به، بقدر ما كان مهتمًّا باستحواذه عليك.
تحكي سيّدة فرنسيّة أنّها عندما لم تجد شيئًا من الرجل الذي تخلّى عنها لتلمسه. ربّت قطًّا لعلمها أنّ له في بيته قطّة

متعلّق بها، و صارت تجلس القطّ في المكان الذي كان يجلس عليه حبيبها. كانت كلّما اشتاقته تضع القطّ في حجرها و تداعب فروه. فيستسلم القطّ لمداعبتها و يغفو. فتسعد حينًا.. و حينًا تبكي.
مع الوقت أصبح القطّ " رجل قلبها " يعرف خطوتها، ينتظر عودتها خلف الباب، يلاحقها من غرفة إلى أخرى. فتطعمه و تدلله وتحنو عليه فيردّ لها الكرم وفاءً و حنانًا.
عندما مات قطّنا قبل فترة. تذكّرت هذه السيّدة و تساءلت لو مات قطّها يومًا، أيّ الثلاثة ستبكي ؟ ذاتها.. حبيبها.. أم القطّ ؟ و من منهما مات قبل الآخر في قلبها ؟ و على من سيكون حدادها ؟
ثمّ.. أيّ الخيارين الأكثر خيانة للرجولة: أن تستعين امرأة على نسيان رجل برجل آخر ؟ أم أن تلجأ إلى قطّ لينسيها رجلًا بعدما لم تجد شيئًا منه يساعدها على انتظاره ؟
و أيّ زمن هذا الذي ينتهي فيه حبّ كبير إلى عواطف في عصمة قطّ ؟ فيخون الرجل العشرة، و تخلص المرأة لحيوان. !

* * *

"ليس ثمّة حبّ ثمّة براهين حبّ"

إنّه ينوي اغتيالك معنويًّا

كلّما ازداد حبّنا تضاعف خوفنا من الإساءة لمن نحبّ
بالزاك

النسيان هو جثّة الوقت العشقي الممدّدة بين عاشقين سابقين.
الاحتضار السريري الغبي لانتظار خلته يومًا، فإذ به يدوم أسبوعًا ثمّ شهرًا ثمّ دهرًا بسبب أمر لا علم لك به.
الإلغاء التدريجيّ في حياتك لكلّ وظائف أعضائك المغدور بها. الموت الحسي لكلّ حواسك التي تعطّلت بتعطّل ساعتك الداخلية التي كانت تعمل بتوقيت الحبّ.
هو ذاكرة تعمل كساعة داخلك، تنبّهك إلى عادات سابقة اغتالها رجل أعلن اغتيالك المعنويّ. ساعة كان هو عقاربها وغدا عقربها.
في كلّ مرة تنتظرين صوته في الساعة إيّاها و لا يأتي، تموتين متسمّمة بالصمت. سمّه يتسرّب إليك من جثّة الهاتف.
لا يغادرك إحساس بالإهانة لما أعطيته من وفاء. بعدم اكتراثه بألمك. باستخفافه باحتمال موتك قهرًا. بقهرك لفرط موت الوقت و موته هو داخلك.
أحاسيس موجعة ستنخرك و تقتلك بعدد الدقائق. و ستكونين أكثر عذابًا من أن تعي أنّ سمّه هوالوصفة بالذات التي كانت تلزمك للشفاء منه. و أنّ الله الذي يحبّك قد ألهمه وسيلة عتقك.

يومًا بعد آخر سيعتاد جسدك على جرعات السّم.. و لن يعود له من تأثير عليك. لقد لقحك من إدمانك إيّاه. طبعًا لم تكن هذه نيّته و لا خطّته ربما ظنّ أنّك على طريقة المدمنين اليائسين ستهجمين على صيدليّة و تسطين تحت تهديد السلاح على جرعتك من " الكوكايين العشقي " مطالبة بأقراص صوته.. و مصل كلماته تلك. أو أنّك ستقومين بخطف عاشقيْن كرهينة و تهدّدين بقتلهما نكاية في الحبّ، إن هو لم يحضر !
و قد تشفقين عليهما.. و تقرّرين الانتحار نكاية فيه تاركة خلفك رسالة ولاء و وفاء لجلادك، عساه يشقى بموتك بقيّة أيامه.
هذه أمنياته غير المعلنة. إنّه يريد دليلًا ملموسًا على جنونك به. لكن أنت التي كنت مجنونة به حقًّا ستستعيدين قواك العقليّة أمام هذا التحدي.
على أيامنا ما عاد قيس هو المجنون.. كلّ " قيس " همّه البحث عن مجنونة !
" ربّي يكثّر المهابل حتى يعيشوا الفاهمين " ! تقول أمّي.
بسرعة استعيدي عافيتك. تذكّري أنّ حبًّا يتغذّى شرّه من خيرك و سمّه من صبرك ليس حبًّا إنّه حالة مرضيّة.

عطر النسيان

عساها تطاردك رائحتي
و يحتجزك حضني
و تخذلك النساء جميعهن
فتعود منكسرا إليّ

ليس للنسيان عطر. العطر لا يمكن أن يكون إلّا عطر الذكريات.
+ وقعت على هذه الحقيقة و أنا أبحث للغياب عن عطر، ينقذنا من عطر الذاكرة المرتبط وجدانيًّا بما عشناه و تقاسمناه مع أحد.
لا يبدو الأمر سهلًا. فالإنسان يملك 347 جينة خاصة بالشّم. مقابل أربعة فقط للبصر. أيّ أنّنا نرى.. و نحبّ.. و نشتهي.. و نحنّ.. و نأكل.. و نتذكّر بأنوفنا.
العطر مزيج من كيمياء الجسد.. و كيمياء عطر في قارورة. لذا توجد عطور بعدد البشر.
و على كلّ امرأة أن تخلق الخلطة السحرية لعطر لن تضعه امرأة سواها. إنّه عطر نسيانها الشخصي الذي تلغي به عطر الماضي و عطر النساء الأخريات في ذاكرة رجل.. أو تلغي به زمنًا ولّى مع رجل.

المطلــوب عطــر يمكّنهــا أن تنســى مــن دون أن يــتمكّن الآخــرون من نسيانها!

لقــد كــان الرجــال فــي الماضــي فــي زمــن البــداوة الجميلــة، يعرفــون عطــر نــساء القبيلــة واحــدة، واحــدة. و بإمكــانهم رغــم الحجــاب التعــرّف علــى اســم امــرأة عبــرت أو غــادرت لتوّهــا المجلــس ممّــا تركتــه خلفهــا مــن شــذى. ربمــا علينــا أن نجــرّب هــذه الخدعة لنعرف إلى أيّ حدّ عطرنا لا يشبه سوانا.

فــي ســعيك إلــى نــسيان رجــل لا تنــسي أن تغيــري عطــرك الــذي كنــت تــضعينه مــن أجلــه. اهــدي صــديقاتك عطــر ذاكرتــك العاطفيّــة.. الــسابقة. تخلّــصي منهــا كــي لا تــستقوي عليــك القوارير.. حتى بحضورها الصامت، تطالبك.. به.

إن وفــاءك لعطــر كنــت تــضعينه علــى أيامــه هــو وفــاء غيــر معلــن له. و قبولك باستحواذه على حواسك حتى بعد انفصالك عنه.

عليــك أن تقعــي فــي حــبّ عطــر جديــد. هــذه الفكــرة فــي حــدّ ذاتهــا ســتفعل مفعولــا ســحريًّا عليــك. و تقنعــك أن ثمّــة شــيء انتهــى. و أن آخــر ســيجيء و ســيكون لــه شــذى عطــر يعلــق بــك منــذ الرشّة الأولى. تمامًا كنظرة أولى.

لا تنــسي أن تــستعدّي لحــدث اختيــار عطر أيامــك القادمــة بارتــداء أجمل ثيابك و أحلى اكسسواراتك.

+المناســبة تــستحقّ أن تتجمّلــي لهــا. أنــت علــى موعــد مــع عطــر حــبّ جديــد. و حتــى إن لــم يجــيء الحــبّ. عليــك أن تخترعــي للغياب عطرًا جميلًا يجمّل انتظارك.

يظــلّ أحلــى عطــر و أروعــه علــى الإطــلاق ذاك الــذي اخترعــه GERLAIN صــاحب الماركــة الــشهيرة التــي تحمــل اســمه.

حين في الأربعينات من القرن الماضي ابتكر عطرًا لامرأة واحدة.. و لليلة واحدة يهديه لمن أحبّ من النساء. [كنت أعتقد أنّه بذلك يهديها العطر الفريد للحب، كمثل فستان زفاف يصنع على قياس امرأة ليُرتدى مرة واحدة. الآن أتساءل ماذا لو كان يهديها عطر النسيان؟

عطر لا وعود له. لا مستقبل. لا التزامات. عطر لا ذاكرة له. كشهرزاد يتوقّف بوحه عند الصباح. من مزاياه غير المعلنة أنّه يخذل ذاكرة الرجل و يعيده إلى عطر امرأته الأولى.

***

قلب في تلفّته إليك يخونني

حيث تمضي يلحق بك

ممسكًا بتلابيب عطرك

صهيل قارورة فارغة من عطره

عطرك يعلّم امرأة فنّ الإصغاء
لا تبتعد
حتّى لا تصاب أنوثتي بالصّمم
لكن..
إحذر أنثى يثرثر عطرها كثيرًا
إنّها - حتمًا- تخفي شيئًا ما

كلّ الحواس تعمل عميلة لدى الحبيب. تستحضره في الغياب. تطالب به. تفاضل بينه و بين أيّ دخيل فتنحاز إليه. لكن يظلّ النظر و الشم هما رؤساء " عصابة الخمسة ". إن كانت خلايا دماغيّة هي التي تسجّل الحدث. إنّ النظر و الشمّ هما الحاستان اللتان تكرّسان الذكرى أما أشرس العملاء و أخبثهم هو الأنف.

لم يخطئ مارسيل بروست حين قال أنّ " الشمّ هو حاسة الذاكرة ". نزار قباني في تعليقه على قول محمود درويش " و رائحة البن جغرافيا " يرى كأنّ محمود درويش يستعيد أرضًا بالأنف.

هكذا هو الأنف دومًا بإمكانه أن يستعيد حبيبًا، أن يستعيد ذكرى، أن يستعيد مدينة بفضل ذلك الشيء اللامرئي الذي لا

نستطيع منعه من اجتياحنا. من يستطيع شيئًا ضدّ عطر أو رائحة ؟
العطر سلطة. كانت كليوباترا ترشّ أشرعة باخرتها بالعطر.. حتى يبقى خيط عطر خلفها يشهد أن ملكة لا تشبه النساء مرّت من هنا.
العطر مكيدة.. كانت جوزفين حين تغادر القصر واثقة أن نابليون سيستقبل امرأة غيرها. ترشّ جدران غرفته بعطرها حتى يظلّ أسير ذكراها.
العطر قصاص مستقبلي. إنّه يوقظ عبق الذكريات. العطر لا يرأف بك. إنّه أكثر الحواس إجرامًا عند الفراق.
حتى قارورة عطر فارغة. قد تتحوّل حين فتحها إلى قنبلة تنفجر فيك. تشلّك. في غياب صاحبها. صهيل عطره الذي بقي بعده عالقًا بزجاجها يغدو عطرًا مشحونًا بالذكريات ينقصه كيمياء صاحبه لينطق.
يا لقارورة ثملة بما فرغت منه.
أكبر متحالف مع الذاكرة. هي تلك القارورة الفارغة من الذكريات. أو بالأحرى التي توهمك بفراغها.
لا تحتفظي بعطر رجل ما عاد في حياتك. و لا ترتكبي حماقة مواصلة شراء عطره لتوهمي نفسك بوجوده، إنّك تشترين ألمك. أو ترشّي عطره عليك كلّما دخلت إلى محلّ للعطور في مدينة.. أو في مطار. كما تفعل صديقة حمقاء تعمل مضيفة طيران. في كلّ مطار تقصد السوق الحرة. ترشّ عطره قبل أن تطير. لتوهم نفسها أنّه ينتظرها في كلّ مطار.. ليطير معها !

أوّل شـــيء عليـــك إبعـــاده تمامًـــا مـــن حياتـــك، هـــو هـــذا العطـــر بالـــذات. ذلـــك أنّـــك إن وضـــعته تكـــونين قـــد استحـــضرت صـــاحبه كمـــا تستحـــضر الأرواح الـــشوق إليـــه ســـيهبّ حينهـــا علـــى دفعـــات كعطر. ينفذ إلى خلاياك يوقظ نسيانك. يهزمك.

***

أحبطي مؤامرة عملائه!

و من عجب أنّي أحنّ إليـــــــهم و أسأل عنهم من لقيت و هم معي

و تحتاجهم عيني و هم في سوادها و يحتاجهم قلبي و هم بين أضلعي

أعتـــرف. كتبـــت هـــذا الكتـــاب لممازحـــة النـــسيان. ذلـــك أنّنـــا لا نـــستطيع منازلـــة الـــذاكرة بجديّـــة. هـــي تملـــك أســـلحة لا قـــدرة لنـــا عليها.

تهزمنـــا الـــذاكرة لأنّ لهـــا عمـــلاء يقيمـــون فينـــا. يـــديرون شـــؤونها لحـــساب حبيـــب. يتـــآمرون علينـــا لـــصالحه. كـــلّ حواســـك تعمـــل عميلًا عنده. البعض بمرتبة ضابط اتصال.

كـــان بيغـــين يقـــول " كـــلّ 5 لـــدى عرفـــات لـــه مـــنهم ثلاثـــة و لـــي اثنـــان" و إذا كانـــت اســـرائيل بعميلـــين اثنـــين مـــن كـــلّ خمـــسة مقـــربين لعرفـــات اســـتطاعت نـــسف القـــضيّة الفلـــسطينيّة. فمـــا بالـــك إن كـــان الخمـــسة جمـــيعهم عمـــلاء. و يقيمـــون فيـــك، و يعملـــون لـــصالح رجـــل غريـــب يقـــول أنّـــه حبيـــب. فـــي كـــلّ حـــرب كـــسبتها إســـرائيل، مـــا كانـــت لتـــنجح لـــولا تـــوفّر الخونـــة و الجواســـيس. حواســـك تـــوفّر لحبيبـــك الانتـــصار عليـــك. تكتـــشفين ذلك متأخرًا كما في كلّ قصص الجاسوسيّة.

فقـــط عنـــدما تحـــاولين نـــسيان رجـــل. يكـــشف العمـــلاء عـــن وجـــوههم. أنـــت لـــست فـــي حـــرب ضـــدّ رجـــل. بـــل ضـــدّ جـــيش مـــن

-KGB- و CIA - و GESTAPO الهتلريّة . لقد تركهم يخوضون الحرب نيابة عنه داخلك و مضى.
إنّهم يقيمون في نخاعك الشوكي. في دورتك الدمويّة في الشبكة البصريّة لعينيك في خياشيم أنفك و في مسام جلدك.
ما الفرق بين الحبيب و بين المحتل إذن. لقد أقام فيك مستوطنة في مساحة كيانك.
هو بصرك و شمّك و نظرك. هو ما تتفوّهين به و ما تهذين حين تصمتين. هو جلدك فكيف جلدك تخلعين. هو خلاياك و مسامك. هو شيطان أرقك.. و إله نعاسك. هو السمّ الذي تتناولينه على مدار النهار خارج الوجبات. و هو الوجبة التي تقتاتين بها لتبقي على قيد الحياة.
حواسك الخمسة مجنّدة على مدار الليل و النهار لتدافع عنه تطالبك بإحضاره من السماء أو من تحت الأرض.
أكبر فاجعة عندما تدخلين معركة النسيان اكتشافك أن حواسك خانتك. و أن عليك إن شئت إخراج هذا " الجنّ العاطفي " من جسدك أن تعلني الحرب على نفسك. أن تقولي " لا " بملء صوتك. لحاسة تذكّرك بعطره. و أخرى بصوته. و أخرى بمذاق قبلته و أخرى بلمسته. و أخرى بطلّته.. بمشيته.. بضحكته.. بجلسته.. بثيابه.
إنّك باختصار تخوضين حربًا عالميّة بمفردك ضدّ جيوش قوّات الحلفاء مجتمعة !.
كان الله في عونك.. يا مرا !
برغم هذا لا تيأسي جلّ الذين تصادفينهم في الحياة خاضوا مثل هذه المعارك و انتصروا فيها.. تقريبًا !

ذكرياتي.. يا ذكرياتي

لا ننسى شيئًا مما نودّ نسيانه. نحن ننسى كلّ ما عداه
بوري سفيان

أن تنسي شخصًا أحببته لسنوات، لا يعني أنّك محوته من ذاكرتك. أنت فقط غيّرت مكانه في الذاكرة. ما عاد في واجهة ذاكرتك. حاضرًا كلّ يوم بكلّ تفاصيله. ما عاد ذاكرتك كلّ حين. غدا ذاكرتك أحيانًا. الأمر يتطلّب أن يشغل آخر مكانه، و يدفع بوجوده إلى الخلف في ترتيب الذكريات.
ذلك أن الذكريات لا تموت. هي تتحرك فينا تخبو كي تنجو من محاولة قتلنا لها. ثمّ في أوّل فرصة تعود و تطفو على واجهة قلبنا. فنختفي بها كضيف افتقدناه منذ زمن بعيد و مرّ يسلّم علينا و يواصل طريقه.
الذكريات عابر سبيل لا يمكن استبقاؤها مهما أغريناها بالإقامة بيننا.
هي تمضي مثلما جاءت. لا ذكريات تمكث. لا ذكريات تتحوّل حين تزورنا إلى حياة. من هنا سرّ احتفائنا بها. و ألمنا حين تغادرنا. إنّها ما نجا من حياة سابقة.
ليس بإمكان أحد الإدعاء أنّه من يتحكّم في ذكرياته. و لا هو يحتاج أن يبحث عنها في الزوايا خلف عنكبوت الزمن. هي التي تتحكّم فيه.. و هي التي تبحث عنه حين تشاء.

يؤكـد رأيــي هــذا، كتــاب المحلّــل النفــسي باتريــك اســتراد " هــذه الــذكريات التــي تحكمنــا " حــين يقــول " الــذكريات تمثّــل بــشرة جلــدنا الداخليّــة و تــصوغ شخــصيّتنا مــن دون أن نــدري. الــذكريات التــي نتــذكرها فــي مناســبات معيّنــة هــي مفتــاح الحــلّ لكثير من المشكلات التي تصبح حياتنا".

بالنــسبة للمؤلــف الــذكريات لا تقــيم فينــا بــل هــي تغلّــف حياتنــا. فهــي تمثّــل بــشرة جلــدنا الداخليــة. إنّهــا كــلّ مــا حولنــا مــن أشــياء نحــيط أنفــسنا بهــا. مــا نلمــسه مــا نلبــسه مــا نحــتفظ بــه. مــا لا ينفــع لشيء و نرفض أن نلقي به. إنها فخّنا !

الــذكريات هــي هويتنــا الأخــرى التــي نخفــي حقيقتهــا عــن الآخــرين. حتــى أنّ الكاتــب يطلــق شــعارًا جديــدًا " قــل لــي مــاذا تتــذكّر.. أقــل لــك مــن أنــت " و هــو أصــدق شــعار نفــسيّ قرأتــه. جرّبــوا هــذه اللعبــة. تعرّفــوا علــى أنفــسكم مــن خــلال ســؤالكم: مــاذا تتــذكّرون بالــضبط. أيّــة ذكريــات نجــت مــن النــسيان خــلال عبــوركم متاهــات العمــر.. أيّ ذكريــات لا تفــارقكم كحيــاة تلــك هي بالذات الذكريات التي تتحكّم في حياتكم.

***

النسيان يمتلك السلطة و معنى السر

موريس بلانشو

اصنعي من الذكريات.. تبولة!

إلوي عنق الدجاجة التي تأكل عندك و تذهب لتبيض عند غيرك

(مثل اسباني)

نمـــوت قاصــــرين مـــن دون أن نبلـــغ الـــسن القانونيّـــة للنـــسيان. لا نـــستطيع شـــيئًا ضـــدّ الـــذاكرة. إنّهـــا تقـــيم فـــي ثنايـــا الحفريـــات العاطفيّـــة. لـــذا رأى الـــبعض أن الحـــلّ فـــي الـــتخلص مـــن الـــذكريات أوّلًـــا بـــأوّل كـــي لا نمنحهـــا فرصـــة اختراقنـــا و التمـــدّد فينـــا. فمـــا الذكريات سوى تراكم الحاضر.

النيويوركيّـــون اخترعـــوا طريقـــة جديـــدة لرمـــي كـــلّ مـــا يريـــدون نـــسيانه و الـــتخلص منـــه مـــن ذكريـــات العـــام الماضـــي. فقـــد وضـــعوا بمناســـبة نهايـــة الـــسنة مفرمـــة كبيـــرة فـــي ســـاحة " تـــايمز ســـكوير " راحـــوا يلقـــون فيهـــا ببهجـــة احتفاليّـــة، كـــلّ مـــا لا يريـــدون أن يكـــون له مكانًا في حياتهم بعد الآن.

رجـــل يرمـــي صـــورة صـــديقته التـــي تخونـــه. و آخـــر يرمـــي ديونـــه، و امـــرأة تقـــذف هاتفهـــا الخليـــوي، و أخـــرى هـــدايا مـــن حبيـــب ســـابق. و نـــساء يخطـــبن و يقـــسمن علـــى النـــسيان و رجـــال يلعنـــون و يضحكون و يصفّقون.

بعـــد منتـــصف الليـــل فـــي الليلـــة الأخيـــرة مـــن الـــسنة، كانـــت الـــذكريات القبيحـــة قـــد انتهـــت فـــي حاويـــة القمامـــة. و غـــادر النـــاس

الساحة إلى بيوتهم مبتهجين بعدما تخلوا عن الذكريات التي تزعجهم.

لا تحتاجين إلى انتظار نهاية السنة لتلقي بما يزعجك إلى " مفرمة الذكريات ". المناسبات لا تنقصك. كأن تكون ذكرى لقائك به لأوّل مرة. أو مرور عام على صمته و انقطاعه عنك. أو ذكرى آخر لقاء جمعكما. أو ذكرى طعنته و حدادك عليه.

في غياب " المفرمة " ادخلي إلى مطبخ الحبّ و افرمي كلّ ما أصبح مصدر إزعاج و ألم في حياتك. اصنعي من الذكريات المفرومة " تبولة " انقعي برغل الأمنيات التي يبست في الغياب. قصّي رأس بندورة جبليّة لها مذاق شهوات bio. استعيني بسكين ماضٍ لفرم الماضي مرّة واحدة. كي لا تقعي في فخ الاجترار.

طبعًا لا يمكن أن تشتري النسيان بثمن ربطة بقدونس. لكن المهم ليس البقدونس، إنّما السكين. المهم أن تفرمي الذكريات التي تفرمك يوميًّا دون رحمة.

أنصحك أيضًا بفتح براد الماضي. ألقي بكلّ ما تعفّن فيه دون أن تنتبهي لذلك. كلّ ما انتهت صلاحية تناوله و لا جدوى من الاحتفاظ به. المعلبات النصف المفتوحة لأمنيات غطى الصوف وجهها. أحزان طرية كجبنة الكامامبير المستوردة من بلاد ما عادت تصدر الأحلام الورديّة. و ستفتح شهيّة الفئران لزيارتك ليس أكثر.

أمّا ما بقي عندك من خضار في براد الذكريات. فاطبخيها كسكسي و ادعي صديقاتك للعشاء من دون أن تخبريهن

بالمناسبة. زيّني مائدة النسيان بشمعدان. تأمّلي الشمع و هو يذوب و اسعدي.. هكذا كنت قبل اليوم.
لقد أنقذتك " المفرمة " من محرقة الماضي ! و لا بأس إن بكيت وحدك في آخر المساء " كلّ ما تنزل دمعة تضوي شمعة" يقول مثل جزائري.

نساء في مهبّ النسيان

النساء دائما ما تقلق على الأشياء التي ينساها الرجال ٬ والرجال دائما ما تقلق على الأشياء التي تتذكرها النساء .

محمد خليل

هذا المخلوق الهاتفيّ الذي يعبث بحياتك

لا عمــــــــــــر لهـــــــــا
تبلــغ ســنّ الرشــد بقبلــة
و تـــــدخل ســــنّ اليـــأس
بانقطـــــــــاع هـــــــاتفيّ
كـان الله فـي عـون امـرأة
أدركها الحبّ على شفتيك

تنبيه:

أتمنّــى ألّــا تفــوّتي قــراءة هــذا الفــصل. لأنّــك حتمًــا ســتحتاجين إلــى العــودة إليــه مــا دمــت حيّــة. حتــى لا تمــوتين فــي حــادث صــمت معلــن، علــى يــد رجــل قــرّر فجــأة أن يقتلــك بــسكتة هاتفيّــة، بعــد أن ســعى خــلال أشــهر و ربمــا ســنوات إلــى جعلــك فــي حالــة إدمــان و تبعيّة مرضيّة لصوته.
تجمع النساء على أنّ الأشياء تبدأ غالبًا هكذا:
رجــل كــأنّ بــه مــسّ مــن تلفــون. لا تــدرين و هــو يجتــاح حياتــك هاتفيًّــا، نــسبة العقــل فيــه مــن نــسبة الجنــون. رجــل يهاتفــك بعــدد ســاعات النهــار. يبعــث لــك رســالة حيثمــا ذهــب. ليقــول لــك شــيئًا مهمًّا لا يحتمل التأجيل: يحتاجك كلّ لحظة.

" أنا خارج البيت.. في قلبك "
" أنا في زحمة السيّارات و قلبي مزدحم بك "

" أنا عائد إلى البيت.. إليك "
" أنا أشتري خبزًا.. كلّما اشتريت خبزًا أكلتك "
" أنا أتعشّى مع أصدقاء و لا جوع إلّا إليك "
" سأخلد للنّوم.. في عينيك "
" صباح الشوق يا كلّ صباحاتي "
+ و تمضي الأيام هكذا و أنت ترافقينه بكرة و أصيلًا... جملة و تفصيلًا حيثما حلّ و في كلّ ما يفعل. و كأنّك مشتركة في خدمة "الخبر العاجل" التي تزودك بالأخبار أوّلاً بأوّل على مدى الليل و النهار.
و لأنّه يهاتفك كلّ حين قد يحدث أن يجد هاتفك مشغولًا. و هنا تولد نواة المشكل الذي ستبنى عليه مشاكل تتوالد أمام اندهاشك من حيث لا تدرين.
فهذا الحبيب الذي تحوّل بحكم المسافة إلى " مخلوق هاتفيّ " يرى في انشغال هاتفك انشغالًا عنه.. و ربما خيانة له. فالهاتف.." هاتفه ". و ليس من المفروض أن يكون لك شغلًا عداه. حتى و إن كنت محرّرة في قناة إخبارية عالميّة.
تسألني صديقتي و هي على حافة البكاء " ماذا أفعل لقد بدأت المشاكل بيننا.. كلّما وجد الهاتف مشغولًا قامت القيامة و انقطع عن مهاتفتي يومًا أو يومين، أبشّرها " ذات يوم سينقطع لأيّام.. ثمّ لأسابيع.. و ربّما لأكثر.." تصيح " لكنّني أحبّه .. أنت تدرين كم أحبّه ليس في حياتي غيره. إنّه حبّ حياتي لا أريد أن أخسره ".
لكن يا عزيزتي منذ اللحظة التي دخلت سوسة الشك إلى قلبه أصبحت مهدّدة بخسارته. سيصدّق السوسة و لن يصدّقك !

لقـــد كـــان العـــشاق أســـعد و أكثـــر طمأنينـــة و ثقـــة فـــي بعـــضهم الـــبعض.. قبـــل أن يـــأتي ألكـــسندر غراهـــام بيـــل - لا ســـقى الله قبـــر والـــد ولـــده - و يختـــرع لنـــا الهـــاتف يكفيـــه لعنـــة أنّـــه مـــا اســـتطاع أن يتـــصّل و لـــو مـــرّة هاتفيًّـــا بأمّـــه و لا بزوجتـــه.. لأنّهمـــا كانتـــا مصابتين بالصمم !

عبثًـــا أشـــرح لـــصديقتي أنّ كمـــا الثـــورة تأكـــل أبناءهـــا يأكـــل الهـــاتف عـــشاقه. علـــى يـــده يكـــون حـــتفهم. و عليهـــا الاســـتعداد منـــذ الآن لقطـــع حبـــل الـــسرة الهـــاتفي الـــذي يوصـــلها بـــذلك الرجـــل علـــى مـــدى الليل و النهار.

فـــي ذلـــك العـــشاء الـــذي جمعنـــا، دمعـــت عيناهـــا لأنّ صـــديقة أخـــرى مـــن إحـــدى نجمـــات الإعـــلام الخليجـــي أكّـــدت لهـــا رأيـــي و هـــي تفاجئنـــا بـــالاعتراف أنّهـــا منـــذ ثـــلاث ســـنوات تعـــيش خـــارج مجـــرّة العـــشاق للـــسبب نفـــسه. صـــحنا مندهـــشات " و لـــم تحبّـــي أحـــدًا منـــذ ذلك الحين ؟! " قالت " لا.. كان هو حبّ حياتي ".

أمّـــا هـــو فمـــا يـــصدّق أن تكـــون امـــرأة علـــى ذلـــك القـــدر مـــن الجمـــال و النجوميّـــة و الـــشهرة وفيّـــة لـــه. قالـــت لـــه الـــسوسة " كيـــف تخلـــص لـــك و حولهـــا هـــذا القـــدر مـــن الأثريـــاء و المـــشاهير " المـــؤلم حقًّـــا أنّـــه لا يـــدري أنّهـــا مـــا زالـــت علـــى عـــصمته. أكـــان سيـــسعد أم ســـيحزن لكـــلّ هـــذا لهـــدر. و كيـــف تـــراه فـــسّر قرارهـــا بعـــدم الاتـــصال بـــه أبـــدًا مـــذ انقطـــع فجـــأة عـــن مهاتفتهـــا. ربّمـــا ظنّهـــا مـــشغولة بحـــبّ آخـــر و هاتفهـــا كقلبهـــا خـــارج الخدمـــة. فتمـــادى فـــي القطيعة.. و في الخيانة.

عـــدت مـــن ذلـــك العـــشاء مثقلـــة بـــالغيوم العاطفيّـــة. لا أفهـــم كيـــف تتظـــافر جهـــود ســـوء الفهـــم و ســـوء الظـــن و ســـوء الحـــظ لاغتيـــال

كلّ هذه القصص العاطفيّة الجميلة. من دون أن يدري الطرف الآخر كم كان آثمًا و ظالمًا في مدّه و جزره الهاتفي.
دون أدنى شعور بالذنب تموت قلوب النساء بسبب رجل دخل حياتهن بكلّ ذلك الاجتياح، ثمّ غادرها بكلّ تلك القسوة، من دون أيّ شرح ليتسلّى بتحطيم قلب امرأة أخرى يهرب إليها من الأولى.. وهلمّ جرى.
أيكون فائض الكلام بين العشاق قد قتل الحبّ ؟ فائض التفاصيل التي يحتاجها الحبّ ليحيا و لكنّه لا يحتاجها ليحلم. الحبّ يحتاج إلى غموض.. إلى أسرار صغيرة لا يترك لها الهاتف " المرضي " مساحة. لذا يصبح حبّ العشاق أقوى و أعنف بعد الانقطاع الهاتفي. إنّه يجبر كلّ واحد على صنع حياة افتراضيّة للآخر بما يعرف عنه من عادات سابقة و من أسرار. فيعود الحبّ على ألمه جميلًا كما في الأزمنة الغابرة. في العواطف الكبيرة لكبار العشاق فقط لا تقتل القطيعة بل تحيي. إنّها تؤجّج الحبّ و تزوّده بالوقود الذي يحتاجه: تحدّي الزمن. بالوفاء لشخص لا تدري ما هو فاعل على الطرف الآخر من الحياة. لأنّ ما تعرفه عنه من عادات و ما قال لك على مدى أشهر و أعوام يجعلك تثقين في معدنه.
برغم ذلك كم من الهواجس و الوساوس ستراودك أمام صمته. فالصمت مساحة الالتباس العاطفي. ستشّكين مع الوقت في كلّ إشارة حتى في الصوت النسائي الآلي الذي يردّ عليك.

" أكــره المــرأة التــي تقــول: إنّ الاتــصال بــالرقم المطلــوب غيــر ممكــن حاليًّــا. كيــف أثــق بأنّهــا ليــست مــن مجموعــة النــساء اللــواتي يحطن بك !" تقول ماري القصيفي.

ذاك الكبرياء القاتل للحبّ

يبلغ الحب القمة متى تنازلت المرأة عن عنادها و الرجل عن كبريائه
" أنوري دي بالزاك "

لا تنازلي رجلًا بتقديم مزيد من التنازلات. في التبضّع كما في الحبّ الرجل لا يحبّ التنزيلات. يريد ما ندر و غلا.

ذات يوم - أكيد - سيختبر معدنك بقدرتك على الصبر على انقطاع كأنّه قطيعة. قد يدوم اختفاؤه أيامًا أو أسابيع أو أشهرًا. و قد يكون النهاية التي لا تدرين بعد بها.

فليكن.. ادخلي حلبة صمته. ستكبرين بالصبر عليه. استمتعي بالانقطاع عنه. لا تعيشي قطيعته عذابًا. عيشيها تمرينًا في الكبرياء و إعلاء شأنك. " ما أقوى من الحب سوى الكبرياء عند أمنع النساء".

يومًا بعد يوم ستتوقفين عن عدّ الأيام التي لم تسمعي صوته فيها. و المناسبات و الأعياد التي أخلفها قصدًا، برغم أنّه عايد أناسًا لا يعنون له ما تعنين.

لن يكون الأمر سهلًا. لكن غدره بك هو وقود تحديك، فتزوّدي به ما استطعت. عليك أن تكسبي عادات جديدة لقتل عاداتك القديمة. و قبل هذا كلّه عليك أن تغذّي إحساسك بالأنفة في مواجهة من كان أقرب إنسان إلى روحك. و غدا

ألدّ أعدائك لأنّه يملك مفاتيحك، و يعرف المداخل غير المحصنة لقلبك. و يعرف كم أنت ضعيفة تجاهه.
لا تضعفي و تطلبي رقمه، لأنّك ستخسرين عزّة نفسك من دون أن تكوني قد كسبته. في هذه المزايدات بالذات على الكبرياء و الجفاء يموت الحبّ الكبير أرخص ميتة من أجل إعلاء شأن عاشقين يتلوعان و يشقيان في الوقت نفسه.
لا أعرف جريمة أكبر من هذه تجاه أنفسنا و تجاه الحبّ. و لا أعرف خسارة أكثر فداحة و حماقة.
و لكن ما دامت هذه اللعبة الإجراميّة هي التي يحلو للرجال أن يلعبوها معنا لا نملك إلّا أن ننزل إلى الحلبة و نكسب الجولة. حتى لو اقتضى الأمر بكيّ قلبنا ف" آخر الدواء الكيّ!".
لي صديقة هزمها الشوق وخانتها يدها بعد أسابيع من القطيعة، فطلبت رقم الرجل الذي كانت تحبّه. و حين قطع الهاتف في وجهها. أشعلت سيجارة و كوت بها يدها اليمنى حتى كلّما رأت آثار الحريق على يدها كرهته و رفضت يدها أن تطلبه مجددًا.
راح يتمادى صدًّا لأنّه اعتقد أنه كعادته بإمكانه أن يذهب بعيدًا في ظلمها، ثمّ يجدها في انتظاره متى عاد. ما تخيّل لحظة أنّها هذه المرة لن تنتظره. فقد دخل إلى حياتها رجل توّجها أميرة و أحبّها و دلّلها كما لم يفعل رجل. و عشقها حدّ تقبيل أصابع قدميها و لم يلحظ يومًا آثار الحريق على يدها.
في آخر أخبارها، جاء الحبيب الأوّل من بلاده ليودعها و هو على مشارف الموت بعد أن تدهورت صحته بسبب مرض

فاجأه و هو في عزّ رجولته و كامل عنفوانه. قال لها أنّه خلال أربع سنوات ما نسيها يومًا و أنّه ما أحبّ سواها.
و ما زالت صديقتي تبكي و لا تدري كيف عليها أن تتصرّف. هاتفتني تقول " عندي لك قصّة لا بدّ أن تكتبيها. تذكرين فلان... لقد عاد".. صحت " لا معقول ".. قالت " عاد يودّعني ".. قلت " أما افترقتما منذ سنوات ؟ ".. قالت " يودّعني هذه المرّة لأنّه قد يموت ".
عندما تزوّج في بلاده امرأة غيرها ما ودعها. في كلّ بلاد سافرنا إليها معًا، كنت أراها تبكيه. كلّما رأت امرأة تحدّث حبيبًا على الهاتف. كلّما استمعت إلى أغنية من بلاده. كلّما تزوّج اثنان.
صديقتي التي كانت قبل سنوات تبكي بسبب ظلمه و هجره، عادت في عزّ حبّها الجديد تبكي عليه. عرضت عليه أن تعيش ما بقي من عمره معه. أن ترافقه إلى مستشفيات العالم. أقسمت له أنّها بمعجزة حبّها قادرة على شفائه. لكنّه أجابها أنّه كان يريدها زوجة لا ممرضة. و غادر إلى قدره.
لقد زاده مرضًا شعوره بوجود حبّ آخر في حياتها جهدت لإخفائه عنه، كي لا تزيد من ألمه.
ثمّة نوعان من الشقاء. الأوّل ألّا تحصل على ما تتمنّاه. و الثاني أن يأتيك و قد تأخّر الوقت و تغيّرت أنت و تغيّرت الأمنيات بعد أن تكون قد شقيت بسببها بضع سنوات !
ما فتئت أسأل نفسي: من الظالم أو الأكثر ظلمًا في هذه القصّة؟

لعل القدر الذي يملك كلّ الأجوبة، أجاب بأنّ حبيبها كان الأظلم لنفسه و لها. لقد اعتقد أنّ بإمكانه أن يتخطّى حبًّا كبيرًا. و يبني حياة زوجيّة على أطلاله. لكن أمام الموت و في لحظة الصدق الحقيقيّة ارتفع صوت القلب ليطالبه بزوجة قلبه. لقد اكتشف جريمة أن نموت بعيدين عن قلبنا.
لماذا كابر إذن كلّ تلك السنوات ؟
لماذا كان يشقى و يشقيها به ؟
لماذا كان يبكي في السرّ.. و يبكيها ؟
لماذا و هو البدويّ الغيور كغزال عربيّ تركها لرجل غيره؟

من الأرجح أن احتمال خسارتها لم يكن في حسبانه. فالرجل يعتقد أن المرأة موجودة أصلًا لانتظاره و أنّها أضعف من أن تأخذ قرار الانفصال أو تلتزم به. لكنّ ثمّة حدًّا يصبح فيه الإخلاص إهانة للذات.
وأشهد أنّها أخلصت له حتى بعد الفراق. أخلصت كما تخلص امرأة عصريّة تقع في حبّ شيخ قبيلة. و ما كان شيخًا. كان رجلًا أحبّها ببداوة. و ما توقّع كم بإمكان امرأة أن تعطي. و كم في وسعها أن تنتظر حتى يأتي القدر يومًا و يهديها حبًّا ينسيها شقاءها.
يعتقد الرجل و هو يتخلّى عن حبّ حياته، أنّه ينتصر لكبريائه. فتقبّل الخسارات الفادحة لمجرد رفع التحدي ليس أكثر، هو جزء من فحولة تاريخنا العربي، الذي يضحّي فيه الحاكم المستبد بوطن ويسلّمه للمحتل حتى لا يخسر ماء وجهه و يتنازل عن عناده !

يأبى الرجل أن يعود إلى حبّه الكبير بعد قطيعة معتذرًا ومنكسرًا. تربيته تمنعه أن يرى في لحظة ضعفه أمام الحبّ أجمل لحظات عمره على الإطلاق.
إنّه الحبّ الذي كان يمكن أن يولد مرة أخرى من رماده و من غيابه و جراحه أكثر جمالًا ونضوجًا.
أكثر من مرّة يتمنّى لو طلب رقمها. هو لا يتوقّع أن تشهق امرأة على الطرف الآخر للخط. و تعطيه من الحبّ أكثر مما يتوقّع. ذلك أنّ المرأة تعشق من يعود إليها ليقول " لا حياة لي بعيدًا عنك " في الواقع هي لا تزدري إلّا الطّغاة، و الجبناء أمام العواطف.
غير أنّ الرجل المتشاغل عن الحبّ، المتجبّر على الحبيبة. لا يكتشف إلّا بعد فوات الأوان صدق تلك المقولة السويسريّة " لا تندم و أنت على فراش الموت لأنّك لم تحصل على ترقية بل لأنّك لم تقض الوقت الكافي مع من تحبّ ".
لقد وضع في حسبانه كلّ شيء إلّا الموت.
الموت الذي تموت في حضرته كلّ الأكاذيب و تنتهي به المزايدات العاطفيّة. لا كبرياء أمامه لكبير. إنّه الحقيقة التي يصغر أمامها الجميع.
لحظة يحضر الموت. هل يبقى لرجل من صوت ليقول لامرأة بينه و بينها قارات من الفراق و التحدّي، أنّه أحبّها حدّ الموت.
أمّا الأكثر ألمًا، أن ترحل هي قبله و تتركه ما بقي من عمر ينزف ندمًا لأنّه لا يدري ماذا يفعل بعد الآن بكلّ الكلمات التي لم يقلها لها و ستموت معه.. إن لم تقتله.

أمــام قــصّة صــديقتي التـــي مـــا زالـــت تعيــشها بكـــاءً كلّمـــا هـــاتفتني. فكّـــرت أن علـــى العـــشاق المتنـــاحرين المزايـــدين علـــى الأذى بـــشراسة الحيـــاة و عنفوانهـــا.. أن يتوقّفـــوا و لـــو ليـــوم ليفكّـــروا فـــي احتمال موت أحدهما خلال أشهر.. و سنوات القطيعة.
ليستحـــضروا بخيـــالهم جثّـــة الحبيـــب هامـــدة بـــاردة قبـــل أن تـــسلّمها الأيـــدي إلـــى التـــراب. ليبكـــوه حيًّـــا حتـــى لا يبكـــوه ميتًـــا، عنـــدما يكـــون الوقـــت قـــد تـــأخر إلـــى الأبـــد. و مـــا عـــاد لـــه مـــن عيـــون ليـــرى دمـــوعهم عليـــه. عنـــدما لا يعـــد لطعنـــاتهم علـــى جـــسده مـــن إيـــلام.. سيغدو الألم من نصيب الذي كان ممسكًا بالخنجر!
كـــم مـــن قـــصص حـــبّ كـــان يمكـــن إنقاذهـــا لـــو فكّـــر العـــشاق بمنطـــق الموت لا بمنطق الحياة. فهل يعتبر المحبّون؟!

***

عندما أحاول أن أعرف ما إذا كنت أحبّ شخصًا ما أتصوّره ميتًا. و أراقب كيف يستجيب جسمي لذلك.

الإعلاميّة إيمي جينكز

يا ظالم لك يوم...

" تنام عينك و المظلوم منتبه يدعو عليك و عين الله لم تنم "

حكى الأصمعي أنّه رأى رجلًا يدعى أبا السائب من بني مخزوم متعلّقًا بأستار الكعبة و هو يقول: اللّهم ارحم العاشقين، و اعطف على قلوب المعشوقين بالرأفة و الرحمة، يا أرحم الراحمين. قال الأصمعي: يا أبا السائب أفي هذا المقام تقول هذا المقال؟
قال: إليك عني! الدعاء لهم أفضل من حجّة بعمرة، ثم أنشأ يقول:

يا هجر كفّ عن الهوى و دع	الهوى للعاشقين يطيب يا هجر
ماذا تريد من الذين جفونهم	قرحى و حشو صدورهم جمر
و سوابق العبرات فوق خدودهم	هطلًا تلوح كأنّها القطر
صرعى على جسر الهوى لشقا	ئهم بنفوسهم يتلاعب الدهر

قرأت هذه القصّة بعدما أديت العمرة قبل سنة من الآن. و لو علمت آنذاك أنّه يجوز للمحبّين أن يرفعوا لله شكواهم. ويدعون و هم في بيته على أحد، كما يدعون بالخير على آخر. لاستفدت من عمرتي لتصفية حساباتي. خاصّة أنّ من رافقني كنّ يقلن لي " أطلبي.. أطلبي ما تشائين. اسألي الله كلّ شيء يخطر في بالك " و كنت أرى الناس يطوفون

مـــردّدين أدعيـــة و لا أدري مـــا أطلـــب مـــن الله غيـــر المغفـــرة و الـــصحة و العافيـــة لـــي و للمـــسلمين. دائمًـــا اســـتحيت أن أســـأل الله شـــيئًا لـــه علاقـــة بالحيـــاة الـــدنيا. كنـــت أقـــول أنّ الله يـــدري مـــا أريـــد و لـــو شـــاء لأعطـــاني إيّـــاه مـــن دون أن أطلبـــه منـــه. حتـــى قـــرأت أنّ الله لا يحـــبّ مـــن لا يـــسأله، و يـــرى فـــي ســـلوكه تكبّـــرًا يستحقّ عليه العذاب.

يـــا للمـــصيبة ! الأمـــر إذن أصـــبح يـــستدعي إعـــادة نظـــر و ربمـــا إعادة العمرة.

و فـــي عمرتـــي القادمـــة سأســـتعد إن شـــاء الله للأمـــر بطريقـــة عمليّـــة فأحمـــل معـــي قائمـــة واضـــحة كاملـــة بأســـماء مكتوبـــة بلـــونين: الـــذين أدعـــو لهـــم بـــالأزرق و الـــذين أدعـــو علـــيهم بـــالأحمر. خـــشية أن تتلخـــبط علـــيّ الأســـماء و أنـــا بـــين يـــديّ الله. خاصـّـــة أنّ إحـــداهن زادتنـــي خوفـــا حـــين قالـــت لـــي أنّ الـــدعوات قـــد تـــضيع فـــي بريـــد الـــسماء إن لـــم تتـــوفّر فيهـــا شـــروط الـــدعاء. و منهـــا أن ترفقيهـــا باســـم أمّ الـــذي تـــدعين لـــه.. أو عليـــه! و قالـــت ثانيـــة "بـــل اســـم أبيـــه هو الأهم فالمسلم ينادى عليه يوم القيامة على اسم أبيه".

تـــصوّروا كـــلّ هـــذه الـــدعوات غيـــر محـــدّدة الهويّـــة كيـــف بـــربكم تجد طريقها إلى السماء.

لا أصـــدّق.. أنّـــك تـــدعين لمحمـــد فـــي الجزائـــر فتـــذهب دعواتـــك لمحمـــد آخـــر فـــي باكـــستان. و تـــدعين علـــى عبـــد الله و لا تـــدرين علـــى أيّ واحـــد مـــن الملايـــين الـــذين يحملـــون الاســـم نفـــسه مـــن ماليزيا إلى الصومال ستحلّ اللعنة.

فـــي هـــذه الحالـــة. كلّمـــا نـــدر الاســـم قلّـــت نـــسبة احتمـــال أن ينتهـــي الدعاء عند غير الذي يعنيه الداعي.

وكنت سعدت لو كان الأمر كذلك ، لاقتصار اسم أحلام عليّ و على المطربة الإماراتيّة أحلام كاسمي علم .
فالدعوات حينها لا تخرج عن إطارنا نحن الاثنتين. ومن هذا المنطلق وجدتني معنية بها , وبدأ يراودني الشك في أن تكون كثيرا من دعوات الخير التي سعيت لجمعها على مدى حياتي قد انتهت عندها. بعد أن أعلنت أكثر من مرّة أنّ ثروتها ما شاء الله تقارب المليار دولار!
+ بما أنّ دعوات الخير كفيلة بالضراء فإن الأمر يحتاج إلى مبادرة من طرفها لإعادة توازن السراء في ما بيننا.
أمّا في حال رفضها لهذا الاقتراح فأنا أطالبها بأن تعلن عن اسم أمّها حتى لا أتلقّى نيابة عنها دعوات من يدعون عليها ممّن تشاجرت معهم على مدى مسارها الفنيّ. خاصّة أنّ الالتباس زاد بيننا مذ تم منحها دكتوراه فخريّة.. تصوّروا حتى إذا أراد أحدهم لمزيد من الضمان لدعواته أن يحدّد بأنّه يعني " الدكتورة أحلام " شخصيًّا.. فدعاؤه أيضًا سينتهي عندي. !
ممّا يجعلني أفكّر في أن أتنازل عن هذا اللّقب الذي أمضيت خمس سنوات في متاهات السوربون للفوز به. والذي في جميع الحالات لم أستعمله في حياتي. غير أني لا أستطيع أن أتنازل عن اسمي لكونه اسمي الحقيقي .
الأمر إذن أكثر تعقيدًا ممّا يبدو. فإن شئت الدعاء على الرجل الذي عذّبك و أبكاك و طلّع روحك.. " وطلّع عينك " كما يقول المصريّون. عليك أن تكوني مسلّحة باسم أمّه و هذه لعمري " أمّ المعارك " و " أمّ المصاعب " كيف

تطلبين من رجل اسم أمّه إن لم تكن حماتك أو مشروع حماة!
هنا كلّ واحدة و شطارتها.. و كلّ واحدة و غباء الرجل الذي عليها أن تفتك منه هذا الاسم قبل أن يفتك بها. و في هذا الموضوع بالذات لا أملك من أجلكن أيّة حيلة, فأنا لم آخذ الموضوع بعد مأخذ الجدّ. لكن لكوني روائية، قد أعود يومًا وأقترح عليكنّ بعض السيناريوهات لهذه المهمّة.
إنّ كلّ ذكائك الأنثويّ يقاس بهذا الامتحان.
إحدى الصديقات تنصحكن بالمباشرة بسؤاله عن اسم أمّه في أيام التعارف الأولى. فسعادته حينها بحبّ جديد , تجعله جاهزًا في البدء للبوح بأيّ شيء . بما في ذلك الأسرار العسكريّة التي أؤتمن عليها ويهدد الإفشاء بها أمن الدولة.
نصيحة أخرى من الصديقة نفسها. سجّلي الاسم فورًا في دفتر. تحسّبًا ليوم ستعلنين عليه النسيان و تنسين من جملة ما ستنسين في حملة " نفض الذاكرة " اسم أمّه، في الوقت الذي تحتاجينه الأكثر.. لتدعي عليه!
أدري أنّ رجالًا يقرؤون الآن هذه الصفحات و يقولون " أرأيتم كم النساء شريرات ! أيعقل أنّ تلك المرأة التي أحبّتنا بطيبة و حنان هي الآن تتضرّع لله كي يهلكنا؟".
أجيب: بلى.. نعم.. أجل يا رجل.
إنّه الظلم الذي يخرج امرأة عن طورها. ثمّ الأمر لا علاقة له بكوننا نساء فقد سمعتُ رجالًا يدعون على حبيباتهن لفرط الألم. فبعض النساء ظالمات و جبّارات أيضًا. القضية هنا تتعلّق بكوننا عاشقات.

لا بـدّ للأمـر أن يطمـئن الرجـال. فـأن تـدعو عليـك امـرأة يعنـي أنّهـا مـا زالـت تحبّـك. و أن تـدعو مـرّة لـك و مـرّة عليـك يعنـي أنّهـا لـم تفقـد الأمـل تمامًـا فـي عودتـك. ثـمّ إنّهـا أيـضًا تخـاف أن يـستجيب الله حقًّـا لـدعائها فـتجنّ و تكـون أوّل مـن يمـوت حزنًـا عليك!

لـذا مـن نعـم الله علينـا أنّـه لا يـستجيب لـدعاء المحبّـين لأنّهـم أصـلًا فـي حيـرة مـن أمـرهم لا يـدرون مـاذا يريـدون منـه بالتحديـد. و لنـا فـي جميـل بثينـة إمـام العـشّاق نموذجًـا عـن تذبـذب رأيّ المحبّـين و تنـاقض مطـالبهم و دعـواتهم وصـلًا و هجرًا.

فجميـل بثينـة الـذي سُـميَ علـى حبيبتـه لفـرط هيامـه بهـا. و القائل:

إذا خدّرت رجلي و كان شفاؤها　　　دعاء الحبيب كنت أنت دعائيا

حـدث أن فقـد مـن لوعـة الهجـر صـوابه، و راح يـدعو علـى بثينـة بـالعمى. و هـو دعـاء يبـدو كأنّـه معمّـم علـى الرجـال منـذ الأزل و إلـى اليـوم. فقـد سـمعت قبـل عـشرين سـنة أحـدهم يـدعو فـي الجزائـر علـى قريبـة لـي رفـضت الـزواج منـه قائلًـا " الله يعميك و لا تجدي من يقودك !"

أمّـا جميـل بثينـة الـذي لقـي حبيبتـه بعـد تهـاجر كـان بينهمـا طالـت مدّتـه فتعاتبـا سـاعة. فقالـت لـه: ويحـك يـا جميـل تـزعم أنّـك تهواني و أنت الذي تقول:

رمى الله في عينيّ بثينة بالقذى　　　و في الغرّ من أنيابها بالقوادح!

فأطرق طويلًا يبكي ثمّ قال بل أنا القائل:

ألا ليتني أعمى أصم تقودنـــي   بثينة لا يخفى عليّ كلامـــها

فقالت: و ما حملك على هذه المنى ؟ أوليس في سعة العافية ما كفانا ؟

فكيـــف تريـــدون أن يـــستجيب الله لـــدعاء عاشـــق يـــدعو علـــى الحبيبـــة بـــالعمى، ثـــمّ ينـــدم علـــى هـــول دعائـــه عليهـــا فيعـــود باكيًـــا و يـــدعو علـــى نفـــسه أن يعمـــى عوضًـــا عنهـــا و أن تكـــون هـــي مـــن تقوده !

تـــصوّرن لحظـــة لـــو أنّ الله اســـتجاب فـــي المـــرّتين لدعائـــه. أمـــا كان الاثنين قد عميا.

أدري أنّ كـــلّ هـــذا الكـــلام لـــن يثنـــي بعـــض القارئـــات عـــن الـــدعاء علـــى الحبيـــب أو علـــى الـــزوج الغـــادر. و أنّ لا شـــيء يطفـــئ حـــرقتهن غيـــر البكـــاء بـــين يـــديّ الله. شـــاكيات ظلـــم مـــن أحبـــبن و من أخلصن له فغدر بهن.

لأولئك أقول أبشرن " فمن ظلم العباد كان الله خصمه ".

و عنـــدما يكـــون الظلـــم حقيقـــيّ , و الجـــور و الأذى كبيـــرين , فـــلا بـــدّ لله ســـبحانه أن يثـــأر لكُـــنّ ممّـــن مكـــر بكـــنّ و هـــو خيـــر الماكرين.

للقارئـــات الموجوعـــات، الطالبـــات للـــسلوان و النـــسيان أقـــدّم هـــذه الأدعيـــة التـــي جمعتهـــا لكُـــنّ مـــن الـــصديقات و بعـــضها مـــن دعواتي الخاصّة.

و الآن يـــا شـــاطرات، إن فـــزتنّ بالحـــصول علـــى اســـم أمّـــه. علـــيكنّ اختيـــار التوقيـــت المناســـب لرفعهـــا إلـــى الـــسماء. فـــإن فـــاتكن شـــهر رمـــضان و العـــشر الأواخـــر و ليلـــة القـــدر. علـــيكنّ بـــصلاة الفجـــر. فـــلا دعـــاء يـــردّ لواقـــف بـــين يـــديّ الله فـــي هـــذه

الساعة. صلين ركعتين ثم ابكين بحرقة المغدور بها.
و ادعين بما شئتن من الدعوات المقترحة أدناه:

دعاء المؤمنة:

اللّهم اجعله نسيًا منسيًّا. اللّهم امسحه من قلبي كما مسحت الحزن من قلب محمد.

دعاء المظلومة:

انتقم يا ربّ يا منتقم على كلّ لحظة صدق كنت فيها معه صادقة وفيّة فجازاني عليها غدرًا و مكرًا. لتعد إن شاء الله عليه ألمًا عظيمًا.

دعاء التقيّة:

اللّهم أنت خصمه أوكلتك أمره فأشهدني فيه على جبروتك فقد كان يا ربّي جبّارًا.

دعاء الوليّة:

إن أوصلك أحدهم بأذاه حدّ المرارة، و اتهمك بما ليس فيك، و شهّر بك. ليكن دعاءك "اللّهم إنّي تصدّقتُ عليه بعرضي أنت الأدرى بي فكن وكيلي عليه".

دعاء الشريرة (سمعت هذا الدعاء قبل عشر سنوات من صديقة لبنانيّة تدعو به على رجل أحبّته):
"الله يبعتلو شلل و طولة عمر".

دعـــاء المخدوعـــة (دعـــاء ســـمعته فـــي المغـــرب العربـــيّ لإبطـــال الأداء الجنسيّ للرجل):
" يا ربّي اجعلو حيط و النساء خيط.. و حشمو مع كلّ مرا".
و هـــو أفظـــع دعـــاء و أمكـــره. فكيـــف لخـــيط أن يختـــرق حـــائط**!**
و مطلـــب هـــذا الـــدعاء أن "يتبهـــدل" الرجـــل مـــع كـــلّ امـــرأة حـــدّ استحيائه من نفسه**!**

أمّ الدعوات:

ستسألنني " و ما هو دعاؤك أنت؟ "
دعائي يا عزيزاتي ظاهره خير و باطنه شرّ:
" اللّهـــم أعطـــه مـــن كـــلّ مـــا أعطـــاني أضـــعافه ". و هـــو دعـــائي على كلّ من ظلمني.
لا أعـــرف دعـــاءً أكثـــر إنـــصافًا و أكثـــر مكـــرًا فـــي آن. لأنّـــك تعـــرفين تمامًـــا كـــم كـــان أذاه كبيـــرًا قياسًـــا إلـــى إحـــسانه , و غـــدره مجحفًا مقارنةً بخيره.
بإمكـــانكنّ الآن أن تخلـــدن إلـــى النـــوم مطمئنـــات. أفـــضل للمـــرء أن ينام مظلومًا على أن ينام ظالمًا.

تذكّري ليلة الجديّ!

لا الألــــــــم

بل مكانـه بعد أن يزول

مكانــــه الـــذي لـــه

يبقـــــى موجعًـــــا

لـــشدّة مـــا يـــزول

بسام حجّار

ثمّة حكمة بدويّة يحلو لأمّي أن ترويها.

+ يقـال أنّ امـرأة مـن إحـدى قبائـل البـدو المقيمـين فـي الجنـوب الجزائـريّ. ذهبـت مـرّة تـزور ابنتهـا التـي تزوّجـت و انتقلـت للعيش في كنف قبيلة أخرى.

ففرحـت البنـت بمجـيء أمّهـا أيّـة سـعادة. و ذبحـت جـديًا احتفـاءً بهـا. حـين عـاد زوجهـا فـي المـساء ذهـب قبـل أن يـدخل الخيمـة يتفقّـد أغنامـه. فـإذا بجـديّ يـنقص مـن الحـساب. فـدخل علـى زوجتـه فوجـدها تعـدّ العـشاء. فـراح يـضربها ضـربًا مبرّحًـا لأنّهـا ذبحت الجديّ.

مـــن قهرهـــا، تظـــاهرت الأمّ بـــالنوم و لـــم تتنـــاول العـــشاء. و قبـــل الفجـــر شـــدّت الرحـــال إلـــى قبيلتهـــا. بعـــد فتـــرة جاءهـــا مرسول بين القبائل يخبرها بوفاة زوج ابنتها.

فـــذهبت لزيارتهـــا فوجـــدتها أرضًـــا تجـــذب شـــعرها و تلقـــي الأتربـــة علـــى نفـــسها حـــدادًا و أسًـــى علـــى زوج " تمنّـــت لـــو التـــراب غطّاهـــا بعده ".

فقالـــت لهـــا الأم و هـــي تراهـــا فـــي تلـــك الحالـــة " ابكـــي.. ابكـــي.. و زيّنـــي بْكـــاك.. و اذكـــري ليلـــة الجـــديّ " . فتـــذكّرت المـــرأة حينهـــا كـم بكـت علـى يـد زوجهـا فـي ليلـة الجـديّ يـوم أبرحهـا ضـربًا عـن ظلـــم. فتوقّفـــت عـــن البكـــاء و قامـــت و نفـــضت عنهـــا التـــراب. و سرى هذا القول حكمة بين النساء منذ ذلك الحين.

قبـــل أن تبكـــي رجلًـــا و تلطمـــي و تـــشقّي ثيابـــك. تـــذكّري " ليلـــة الجـــديّ ". و تلـــك الكـــدمات التـــي اخترقـــت زرقتهـــا قلبـــك. ذلـــك التجـــريح... و تلـــك الإهانـــات. التـــي كـــان الحـــبّ يغفرهـــا و يخفيهـــا. و هـــا هـــي اليـــوم الـــذاكرة تعرّيهـــا. بعـــد أن رفـــع عنهـــا الحبّ الحصانة.

صـــديقة صـــحافيّة، ظلّـــت تهـــذي بحـــبّ رجـــل كمجنونـــة و تـــصفه لـــي علـــى مـــدى ثـــلاث ســـنوات كمـــا لـــو كـــان ابـــن زيـــدون فـــي حبّـــه الخرافـــيّ لـــولادة بنـــت المـــستكفي. كـــان الأروع كـــان الأصـــدق كـــان ملكًـــا علـــى الرجـــال. لكنّـــه كـــان فـــي لحظـــات غـــضبه يقـــول لهـــا أشـــياء موجعـــة اعترفـــت بهـــا لـــي الآن فقـــط بعـــد مـــضي ســـنوات. لأن بإمكانهـــا الآن أن تحكـــي عنهـــا. قـــال لهـــا مـــرّة " أنـــت كذبـــة كبـــرى.. أتعتقـــدين أنّـــك صـــحافيّة كبيـــرة.. ثمّـــة مليـــون امـــرأة أهـــمّ

منـــك و أجمـــل منـــك... " فلانـــة " مثلًـــا أشـــرف منـــك مليـــون مـــرة. تتمنّى لو فقط سلّمت عليها و لا أفعل..".
مـــضت ســـنوات و مـــا اســـتطاعت صـــديقتي أن تنـــسى أن يعايرهـــا الرجل الذي أحبّته بامرأة أقلّ منها شأنًا ونبلًا.
" فلانـــة " هـــذه كانـــت صـــحافيّة جـــاهزة لتبيـــع نفـــسها مقابـــل أن تحـــضر مـــؤتمرًا فـــي الخـــارج. كـــلّ مـــا يعنيهـــا أن تتواجـــد فـــي كـــلّ مكـــان عـــساها تحقّـــق شـــهرة مـــا. بينمـــا كانـــت صـــديقتي تـــأبى أن تـــدقّ بـــاب مـــدراء المؤسّـــسات الإعلاميّـــة، وتـــرفض أن تـــستباح كرامتها مقابل أيّ مكسب مهما غلا.
لـــذا ظلّـــت لفتـــرة دون عمـــل كـــي لا تعطيـــه ســـببًا للغيـــرة. مـــا كـــان لهـــا مـــن شـــغل إلّـــا تـــدليل الرجـــل الـــذي تركـــت كـــلّ شـــيء مـــن أجلـــه عـــساه يطمـــئنّ و يتزوّجهـــا. لكنّـــه لـــم يطمـــئنّ بـــرغم ذلـــك و لا كـــان معنيًّـــا بـــالفرص التـــي أضـــاعها عليهـــا. و فـــي ليلـــة مـــن ليـــالي " الجـــديّ " راح يـــضربها بمـــا أوتـــي مـــن ذكـــورة بعـــد أن خيّـــل لـــه أنّه رآها تبتسم أثناء العشاء للنادل!
أسالها مدهوشة " كيف بقيت مع رجل كهذا ؟"
تـــردّ " كانـــت لـــه خـــصال جميلـــة خـــصال نـــادرة تنـــسيني عيوبـــه. كـــان حنونًـــا و وفيًّـــا و شـــريفًا و كـــريم الـــنفس. لكنّـــه كـــان عـــدوانيًّا فـــي غيرتـــه، كثيـــر الـــشكوك عنيفًـــا فـــي لفظـــه، نوبـــات غـــضبه لا منطـــق لهـــا و لا تطـــاق. حتـــى عنـــدما أتـــذكّرها الآن أبكـــي كمـــا لـــو أنّي أعيشها من جديد".
ذلـــك أنّ الألـــم يـــستيقظ متـــأخّرًا. إنّـــه يعـــيش طويلًـــا.. بعـــد الـــذكريات الجميلة.

الألـــم هـــو ظلـــم الآخـــر لـــك. و تجنّيـــه عليـــك. هـــو قـــسمك الـــذي لا يـــصدّقه. و صـــــدقك الـــــذي يـــشكّك فيـــــه. و دموعـــــك التـــــي يسترخصها.
ثمّ ذات يوم تقولين "كفى"!!
لا يمكـــن لظلـــم كهـــذا أن يكـــون حبًّـــا. ستـــصفقين البـــاب خلفـــك و تمـــضين. لتتركينـــه لملايـــين النـــساء اللائـــي كـــان يـــراهن " الأهـــم " و " الأشـــــــــــرف " و " الأجمـــــــــــل " و " الأصـــــــــــدق "... و " ال...". هو لهن الآن. ما عاد الأمر يعنيك.
حزمـــت صـــديقتي حقيبتهـــا إلـــى نيويـــورك لتعمـــل فـــي الأمـــم المتحـــدة. لـــم تأخـــذ معهـــا دموعًـــا و لا نـــدم. أخـــذت ذكـــرى ليلـــة الجديّ !

كلام أقلّ...

ينبغي للإنسان الذي يريد أن يعيش أن يقول نصف الحقيقة و يخفي نصف الشعور.

جان كوكتو

المشكل عبارة عن مجموع كلمات إذا دخلت حوزتها تصبح ألفًا.
إنّها فتيل يمكن إطفاؤه بالتسامح أو بكلمة اعتذار من الطرف المخطئ فتنازل أحد الطرفين عن كبريائه أو عن حقّه لا يعدّ خسارة بل هي التضحية الجميلة التي سيكبر بها في عين الحبيب و ينقذ بها الحبّ من فكيّ التحدي.
لكن هذا " المشكل الفتيل "، قد يتحوّل بالعناد إلى نار لا يمكن السيطرة عليها حين تتغذّى من حطب الكلمات القاسية التي احتفظ بها كلّ واحد في قلبه ليوم كهذا.
الخلافات العاطفيّة تكبر لأنّنا عند كلّ خلاف لا نواجه المشكل الجديد الطارئ. بل نعود في مواجهتنا مع الطرف الآخر إلى استعراض قائمة المشاكل و التي يستعرضها الرجل غالبًا في كلّ مناسبة، واحدة، واحدة، ضمن لائحة المآخذ و التهم التي جمعها على مدى العلاقة من يوم لقائكما... و إلى يوم القيامة. مرفوقة بكلّ ما أسدى إليك من خدمات عاطفيّة يوم

انتشلك من حزن سابق و غفر لك أخطاء اقترفت معظمها حبًّا فيه.
يفعل ذلك على طريقة فيديل كاسترو الذي كانت بعض خطبه تدوم سبع ساعات بسبب إصراره كلّ مرّة على تذكير الشعب الكوبي بكلّ ما حقّق له من إنجازات و منّ عليه من رفاهيّة خلال نصف قرن من الحكم. و كان الوقت يمتدّ إلى حدّ يكفي معه لمستمعيه المساكين أن يمرض منهم من كان معافًى و يموت من كان مريضًا.
و تحبل نساء و تنجب من يفاجئها المخاض أثناء الخطاب المفدّى و حدث للرفيق الإله أن كان هو من سقط فاقدًا الوعي لفرط كلامه.
فلا تدعن الكلمات تغتال العشّاق.
و قد كان يكفي كلمة واحدة لإنقاذ العشق !

نصيحة:

من الرجال من لا يعلم أنّ الكلمات كالرصاصة لا تسترد.
و قد يفرغ فيك في لحظة غضب ذخيرته من الكلام الذي يفاجئك بأذاه. فما توقّعت ذلك الحبيب قادرًا على حمل ذلك الكمّ من الشر في نفسه.
إنّ الغضب يفضح طينة الرجال. و قد قال أحد الحكماء ناصحًا " من غضب منك ثلاث مرات و لم يقل فيك شرًا اختره صاحبًا ".

و قال الأحنف بن عيسى " يا بنيّ إذا أردت أن تصاحب رجلًا فأغضبه، فإن أنصفك من نفسه فلا تدع صحبته، و إلّا فاحذره ".

احذري رجلًا سريع الغضب. يصعب عليه السيطرة على انفعالاته أيًّا كانت خصاله، و ربما كانت خصاله لا تعدّ و كان له قلبًا طيّبًا. و كان حبيبًا نادرًا. لكن نوبة غضب واحدة يلقي فيها عليك بحممه و بالجمر المتطاير من فمه. سيحوّل قلبك إلى مدينة مدمّرة (كشرنوبيل) يصعب عودة الحياة النقيّة إلى رئتيها.

خراب ما كان جميلًا

" و كما خرّبت حياتك هنا في هذه الزاوية الصغيرة - فهي خراب أنّى ذهبت "

كافافي

دعاني إلى فنجان شايٍّ بمناسبة مروره ببيروت. على غير عادتي قبلت الدعوة. قلت عساه يحتاجني رسولة لصديقتي التي انقطع عنها منذ أشهر.

قال و قد أشعل سيجارته الثالثة :

- لقد شفيت منها و سأحبّ - ثمّ كرّر بصوت أعلى- سأحبّ !

لم أقل له أنّ حبًّا تسبقه نواياه ليس حبًّا. و أنّ رجلًا في نيّته أن يحبّ لا يحتاج إلى إعلان ذلك بصوت عالٍ. و لا أن يوصل الخبر لمن شفي منها.

كانت ملامحه أكثر قسوة و تعبًا من أن تتوافق مع ما يتلّفظ به. كانت من يدّعي الشفاء منها قد تفشّت فيه كما تفشّى فيها. و كان حبّهما كمرض خبيث في مراحله الأخيرة قد شوّه كلّ شيء.

رجل دمّره الشكّ يجلس أمامي. ليس لظنونه من منطق. لكنّه يصرّ عليها. فهو يحتاج أن يكون الضحية ليشفى. إقناعه

بالعكس يخلّ توازنه و يطيح بالملف الذي بنى عليه دفاعه و يجترّه دون كلل.
طلبني ليشهدني على خراب حبّ كبير. رجل عهدته راقيًا و شهما يطلق الآن رصاصه الطائش كيفما اتفقّ على من أحبّ. يعرض اطلاعي على رسائلها الهاتفية إليه.

أقول :

- هذه امرأة تمنّت أن تسبقك إلى الموت حتى لا تغادر قبلها. فكيف تغادرها حيًّا و تتخلّى عنها

يردّ :

- أنت مخدوعة بها مثلي.

لا أمل. هو الذي كان يغار عليها من ثيابها قال، أنّ أسعد أيّامه يوم يسمع أنّها سعيدة مع رجل آخر !
نكتة ما استطعت أن أضحك لها. كانت خارجة من عمق الألم و القهر.
كم يكون قد تعذّب ليقول كلامًا كهذا. و كم تعذّبت صديقتي التي أعطت و ما استبقت لنفسها شيئًا. لأنّها ما توقّعت أن يجيء يوم كهذا !
كم انتظرته و قالت كلّما أغريتها بإنهاء عذابها، و فتح قلبها لغيره " لا بعده إلّا التراب !"
هو لا يصدّق شيئًا مما أقوله عنها.
دافعت عن أسطورة حبّهما ما استطعت. لكن الألم أعماه عن سماع صوت غير صوت وسواسه و غيرته.
فكّرت أنّه برغم ذلك لم يلامس عمق القهر بعد، سيبلغه بعد سنوات، عندما يكون الحبّ بينهما قد مات و يكون قد أحبّ

أخـــرى، و أحبّـــت هـــي ســـواه. و يلتقيـــان مـــصادفة فـــي مـــساء الحياة. و قد انطفأت بينهما الحرائق.

يومهـــا فقـــط، و هـــي تـــروي لـــه تفاصـــيل حـــدادها عليـــه و وفائهـــا لـــه سيـــصدّقها، و يخترقـــه الخنجـــر الـــصدئ للنـــدم.. كيـــف تركهـــا مـــن يأسها فيه تمضي لسواه ؟!

حـــين افترقنـــا كـــان خرابـــه قـــد انتقـــل إلـــى قلبـــي. خفـــت علـــى الحـــب ممـــا رأيـــت. خفـــت علـــى كـــلّ حـــبّ حاضـــرًا و مـــستقبلًا. و حزنـــت مسبقًا من أجل كلّ عشاق العالم.

+إن كـــان صـــرحًا كـــذاك ينتهـــي هكـــذا فعلـــى الـــدنيا الـــسلام. أيّـــة جدوى ممّا نكتبه عن الحبّ إذن ؟

كانـــا يعتقـــدان أنّ حبّهمـــا أقـــوى حتـــى مـــن المـــوت. لكـــن حبًّـــا أقـــوى مـــن المـــوت لا يقـــوى علـــى أصـــغر حـــشرة. تلـــك الـــسوسة اللامرئيّـــة للـــشكّ التـــي تنخـــر بوسواســـها شـــجرة الحـــبّ مـــن الـــداخل ســـتجعلها تهـــــوي ذات يـــــوم بطولهـــــا الفـــــارع أرضًـــــا بـــــرغم أوراقهـــــا الخضراء.

افترقنـــا. ، رأيتـــه يبتعـــد بخطًـــى واســـعة كرجـــل مـــسرع نحـــو قـــدر ما.

***

الرجـــل المنتعـــل نـــسيانه
نـــسي أن يـــربط حبـــل حذائـــه
حتمًـــــا
ســـــيتعثّر بالـــــذكريات

تجمّلي بذاكرة البدايات

"بنيت قصورًا فاتنة إلى حدّ أنّ خرائبها الآن تكفيني"

كان عليّ أن أنقل رسالة النهاية إلى صديقتي.
كيف أقول لها أنّ الرجل الذي أوقفت حياتها عليه أصبحت خارج حياته. لماذا لم يبلغها بقراره قبل أشهر ؟ حتما كان قصده هدر المزيد من وقتها فبينما كان هو يتداوى منها..
كانت هي في انتظاره تمرض به !
خفت عليها أن تنهار لسماع الخبر. فقد كانت تثق في عودته. ذلك الحريق الجميل الذي اشتعل بينهما و أضاء العالم. مهما حدث ستبقى منه شررات متناثرة في القلب جاهزة لإضرام نار الحنين فيهما. لكنه أراد إشعارها أنّ كلّ شيء بما في ذلك الذكرى الجميلة بينهما قد انطفأت .

+ حضرتني قصّة أخي ياسين يوم في حادث مريع حطّم سيارة أختي الجديدة. حين قادها أثناء زيارته للجزائر و خرج من الحادث حيًّا بأعجوبة.
قال لها يومها و هو يعود إلى البيت تحسبًا لرد فعلها:
- عندي لك خبران. الأوّل خبر سعيد و الثاني خبر سيء..
بماذا أبدأ ؟

أجابت صوفيا مندهشة:

بالخبر السعيد

قال :

كسبت أخًا.. لقد بعثت اليوم حيًّا!

سألته عجلى :

- و الخبر السيء ؟

قال :

- لقد خسرت سيارتك.. لقد تحطّمت تمامًا !.

حين رأت صوفيا حال السيارة التي خرج منها ياسين حيًّا. نسيت خسارتها المادية على فداحتها، و ظلّت لأيّام كلّما رأت ياسين حمدت الله على بقائه حيًّا.

دخلت على صديقتي. فوجدتها تنتظر بلهفة تقريري عن ذلك اللقاء. قلت لها و أنا أقاسمها قهوة.

- عندي لك خبران. خبر جميل و آخر سيء. بماذا أبدأ ؟

قالت مذعورة:

- بالخبر الجميل.

قلت:

- أبشري لقد كسبت نفسك.

سألت عجلى:

- و الخبر السيء؟
- لقد خسرت ذلك الرجل.

أعادت فنجان القهوة إلى الطاولة و لمعت دمعة في عينيها.

قلت:

- لا تحزني ما عاد من شيء يمكن إنقاذه. هو نفسه ما عاد يشبه نفسه.

قالت:

- مثله لا يتغير

قلت :

- سوءالظن عندما يتمكن من أحد يغيره

قالت:

- أأخبرته كم أخلصت له؟

قلت :

- ربما في أعماقه هو يدري ذلك. لكن صوت تلك " السوسة " كان أعلى من صوت قلبه. لقد قال فيك كلامًا موجعًا أراد حتمًا أن أنقله لك، لو سمعته لمتّ قهرًا..

- أريد أن أسمعه

- لا داعي لمزيد من الألم

- لا ترأفي بي أريد أن أعرف كيف يتحدّث عنّي الرجل الذي أحببت حدّ الموت ويريد اليوم موتي

- ليس هو الذي كان يتكلّم. هذه لغة تلك الحشرة. التي تنخر قلبه هو رجل نبيل و شهم. لو لم يكن كذلك لما كنت أحببته أصلًا.

- لكنّني أفوقه نبلا ما ذكرته يومًا إلّا بالخير. لماذا يشوّه الرجال امرأة عندما يغادرون ؟ لماذا يلوكون شرفها في المجالس ؟ أليس لهم أخوات ؟ أليس لهم بنات ؟

قلت و أنا أرى دموعها:

- لا تبكي إن من يشوّه امرأة أحبّته لا يشوّه الا نفسه و يبشّع ما كان جميلا في ماضيه, و ذاكرته لن تغفر له ذلك. هل تعرفين قصاصًا أكبر من هذا أن يلتفت المرء إلى الخلف فلا يرى إلّا الخراب؟ لا تزايدي عليه بشاعة و دمارًا.. أبقيه جميلًا في ذاكرتك. لا تتذكّري منه إلّا ما كان جميلًا و استثنائيًّا بينكما. لحظة الحبّ الخرافيّة يوم رأيته لأوّل مرة. أوّل رسالة هاتفية وصلتك منه.. أوّل مرّة دقّ هاتفك و كان هو على الخط.. أوّل مرة قبّلك فخانتك رجلاك.. أوّل مرّة انتظرك عند بوابة مطار.. أوّل مرة جلس أمامك في مطعم.. توقّفي عند روعة البدايات و دعي له بشاعة النهايات. ما دام هو الذي اختارها. صدّقيني عندما تترفّعين عن أذاه و تغفري ظلمه لك ستصبحين أجمل. و سيمكنك حينها أن تحبّي من جديد بسعادة أكبر.
- لكنّني ما كنت أريد أن أحبّ يومًا سواه.
- برغم ذلك لن تستطيعي بعد الآن أن تحبّي رجلًا أرسل لك معي كيسًا من التهم و الإهانات.

لا مفرّ ربما كانت تحتاج أن تسمع أذاه لتشفى منه. فتحت الكيس. قلت لها كلّ شيء دفعة واحدة. وصفت لها شظايا الرصاص الذي تلقيته نيابة عنها. ظلّت تسألني عن كلّ التفاصيل. عن كلّ كلمة قالها. عن عدد السجائر التي دخنها. عن الثياب التي كان يرتديها. عن لون شعره بعدها. عن الساعة التي وصل و غادر فيها.

ثـمّ.. كمـا لـو أنّهـا تناولـت جرعـات الـدواء دفعـة واحـدة. أصـبحت خـلال لحظـة امـرأة أخـرى. ثمّـة مـن يولـد مـن طعنـة. و ثمّـة مـن يموت في قلبنا إثرها.
مـا رأيتهـا بعـد ذلـك تبكيـه أو تـأتي علـى ذكـره. لكنّهـا كانـت تبـدو لي أجمل في كلّ مرة ألتقيها.

***

لا يولـد البـشر مـرّة واحـدة يـوم تلـدهم أمّهـاتهم و حـسب، فالحياة ترغمهم على أن ينجبوا أنفسهم.

غبريال غارسيا ماركيز

من قصص النساء الغبيات

يعتقـد الرجـل أنّـه بلـغ غايتـه إذا استـسلمت المـرأة لـه. بينمـا تعتقـد المـرأة أنّهـا لا تبلـغ غايتهـا إلّـا إذا شـعرت أن الرجـل قـد قدّر ما قدمته له

بلزاك

القصّة الأولى

لا تتنهدن بعد الآن أيّتها النساء. لا تتنهدن أبدًا. فالرجال خادعون أبدًا

شكسبير

كانـــت تقـــيس حبّـــه لهـــا بالـــسجائر التـــي لا يـــدخنها. تقـــول " كـــلّ ســـيجارة لا تـــشعلها هـــي يـــوم تهـــديني إيّـــاه . يـــضاف إلـــى عمـــر حبّنا.

كـــم منّـــت نفـــسها بإنقـــاذه مـــن النيكـــوتين. لكنّـــه يـــوم أقلـــع عـــن التـــدخين، أطفـــأ آخـــر ســـيجارة فـــي منفـــضة قلبهـــا. تركهـــا رمـــاد امرأة. و أهدى أيّامه القادمة لامرأة تدخّن الرجال.

القصّة الثانية

المرأة ناقة تساعد الرجل على اجتياز الصحراء

حيث سافرت، كانت تشتري له جاكيتًا و بدلات و ربطات عنق و قمصان. حتى كلّما خلع شيئًا منها عاد فارتداها. و عندما فاضت خزانة قلبه بحبّها. خلعها و ارتدى امرأة سواها. فقد أصبح أكثر أناقة من أن يرتدي " أسمال حبّ ".

القصّة الثالثة

إنّ المــرأة إذا تعلّقــت بالرجــل كانــت أســبق منــه إلــى التــصديق، وكان خداعه إيّاها أسهل من خداعها إيّاه..

عباس محمود العقاد

كلّمــا نــزل هــاتف جديــد إلــى الأســواق، أهدتــه إيّــاه. كــي تطيــل عمــر صــوته و كــي يكــون لهــا مــن أنفاســه نــصيب. أمنيتهــا كانــت أن تــصير الممــرّ الحتمــيّ لكلماتــه. أن تقتــسم مــع الهــاتف لمــسته. أن تــضمن لهــا مكانًــا فــي جيــب ســترته. أن تكــون فــي متنــاول قلبــه و يده.

بعــد الهــاتف الثالــث، طلّقهــا بــالثلاث. تــرك قلبهــا للعــراء خــارج " مجال التغطية ".

و دون أن يقــول شــيئًا. دون أن يقــدّم شــروحًا. أعلــن نفــسه " خارج الخدمة ".

فــي الواقــع، كــان قــد بــدأ يعمــل خادمًــا بــدوام كامــل لــدى امــرأة يقــال أنّها تدعى " الخيانة ".

القصّة الرابعة

" الجمال يوجد في عين الذي ينظر إليه "

أعـوام و هـي تقـول لـه " كـم أنـت وسـيم ". كانـت تـراه بعيـون القلـب. و عيـون الماضـي و عيـون الغـد. و عيـون النعمـة. و عيـون الامتنـان للحيـاة. و عيـون الأغـاني و عيـون الأشـعار. و عيون النساء و عيون الوفاء.. و عيون الغباء.

كـلّ عيونهـا كانـت مـشغولة بتلميـع تمثالـه. يـوم أحبّتـه غـدت كلّهـا عيون.

مـا تركـت لنفـسها مـن آذان لتـسأل: لمـاذا لـم يقـل لهـا يومًـا " كـم أنـت جميلـة " ! بينمـا كـلّ العيـون مـن حولهـا كانـت تقـول لهـا ذلـك كـان حبّهـا فـضفاضًا إلـى حـدّ غطّـى كـلّ عيـب فيـه. و حبّـه ضـيّقًا إلـى حـدّ، لـم تبـق شـعرة فـي وجههـا لـم يطالهـا الملقط إلّا و رآها.

القصّة الخامسة

المرأة تحيا لتسعد بالحبّ . . والرجل يحبّ ليسعد بالحياة

جان جاك روسو

ما كانت قبله امرأة و لا كان قبلها حيًّا.
يوم التقت به كان موليًا ظهره للحياة.لم يغازل قبلها غير الموت , يستعجل الرحيل. يقتل الوقت بإطلاق النار على أيامه، كما في لعبة إلكترونيّة.
أحبّت شاعرية كآبته. نخوته. براءة مشاعره. إخلاصه لذاكرته. طفولته المتأخرة. راحت تنفخ فيه من حياتها ليحيا، كما لو كانت أمّه. تقاسمت معه أنفاسها حمته بخوفها. حبّبت له الجمال و الفصول و المطر و البحر و السفر و الشعر و البوح و الرقص. حبّبت له أن يحبّ. أن يكون رجلًا. أهدته كنوز الأمل حتى ينسى طريقه إلى ضرّتها... المقبرة.
ذات يوم جاءها في كلّ أناقته. سعيدا كما لم يكن يوما إرتدى البدلة التي اشتراها معها. دعاها إلى نزهة بمناسبة تخرّجه من مدرسة البهجة.
+ في السيارة وضع أغانٍ كانا يرقصان عليها معًا. لحقت به فرحى. لكنّه أوقف السيارة فجأة و طلب منها أن تنزل.
+ تركها عند باب المقبرة ترتجف غير مصدقة . و مضى يعقد قرانه على...الحياة.

القصّة السادسة

لم تطلب من الله سوى أن يبعث لها رجلًا. يحبّها و يحميها. يهديها اسمه و تهديه ذريّة صالحة. و عندما دخل حياتها أمير لم تصدّق سخاء القدر. حطّت طائرته في قلبها و نزل منها تسبقه سلال الورود و الهدايا و وشوشات هاتفيّة تقول " ستكونين لي ".

أيام من الدوار العشقي... ثمّ فتحت عينيها يومًا على أزيز طائرته. طار الحلم نحو امرأة أخرى و معه حلمها بثوب أبيض .

+ ما زالت منذ أعوام في المطار تراقب حالة الهبوط و الإقلاع. هي لا تتوقّع عودته. لكن ما عاد بإمكانها أن ترضى بغير حبّ يأتي من السماء في طائرة خاصّة.. ما استطاعت أن تنسى أنّها كانت يومًا أميرة.. لكنّها نسيت لأعوام أن تعيش كامرأة.

* * *

معظم الأمراء كالأطفال مفرطون في الدلال لكنهم سريعوا النسيان .

جان لورون دالميير

القصّة السابعة

أحبّهــا. دلّلهــا. عــشقها.. خــاف عليهــا. حماهــا. بكاهــا. أبكاهــا. مــا غــار عليهــا مــن الآخــرين، غــار عليهــا مــن الفــشل. أرادهــا كبيــرة كمــا لــو أنّــه أنجبهــا. أرادهــا الأولــى فــي كــلّ مــادة. قــسا عليهــا كــي لا تقبــل بأقــلّ مــن القمّــة. صــقلها كــي تلمــع كالماســة حيثمــا وُجــدت. وضــعها أعلــى الــسلم ثــم ســحب مــن تحتهــا الــسلم حتــى لا تنــزل درجة عن أحلامه.

عبــر حياتهــا كنهــر، و مــضى إلــى مــصبّه صــوب البحــر دون أن يلتفت إلى الخير الذي تركه على ضفافها...

تلــك الأبــوّة العاشــقة حــين تنــسحب تتــرك خلفهــا مــذاق يُــتم أبــديّ. ما استطاعت نسيانها.

.لتــشفى منــه راحــت تقلّــده.. أصــبحت أمّ مــن أحبّــت بعــده. أحبّتــه دلّلتــه. عــشقته. خافــت عليــه. حمتــه. بكتــه. أبكتــه. مــا غــارت عليــه مــن الأخريــات، غــارت عليــه مــن الفــشل. أرادتــه كبيــرًا كمــا لــو أنّها أنجبته. و خذلها ذلك الرجل...

[الحبّ يُنتقم لنفسه].

تانغو النسيان

كان ذلك غدًا لأنّي ما زلت أحبّك
كان ذلك البارحة لأنّك نسيتنـــي

غادة السمان

الحذاء الموجع.. لحبّ جديد

نحن نرتدي قلوبنا على أقدامنا.. إنّ الأحذية هي أفضل المؤشّرات على ما يمرّ به الناس من حالات شعورية. الأحذية مزيّنة بالثقوب و أحيانًا بالندوب

جون سوان (متخصّصة في تاريخ الأحذية)

الحبّ يؤسس نفسه على ذاكرة جديدة. يحتاج إلى نادل ينظّف طاولة الحبّ ينفض عنها الغطاء قبل أن يجلسك عليها.

نهرب من الذكريات المفترسة. إلى حبّ جديد سيفترسنا لاحقًا. لكنّنا نريده برغم ذلك، هربًا من حبّ سابق. نحن تمامًا كمن يهرب من حريق يشبّ في بيته، بإلقاء نفسه من أعلى طابق. لا يهمه أن يتهشّم. المهم ألّا يموت محترقًا. أن ينجو بجلده من ألسنة النار. و لا يتنبّه لحظتها إلى ما ينتظره أرضًا و هو يلقي بنفسه إلى المجهول.

عنـدما تلجـأ إلــى حــبّ جديـد لتنـسى حبًّـا كبيـرًا. توقّـع ألّـا تجـد حبًّـا على مقاسك.

سـيكون موجعًـا مزعجًـا كحـذاء جديـد. تريـده لأنّـه أنيـق و ربمـا ثمـين. لأنّـه يتماشـى مـع بـدلتك لكنّـه لا يتماشـى مـع قلبـك. و لـن تعـرف كيـف تمـشي بـه. سـتقنع نفـسك لمـدة قـصيرة أو طويلـة وأنّـك إن جاهـدت قليلًـا بإمكانـك انتعالـه. لكـنّ "صـانع الحـذاء يريـدنا أن نتـألم كـي نتـذكّره". سـتدّعي أن الجـرح الـذي يتركـه علـى قـدمك هـو جـرح سـطحي يمكـن معالجتـه بـضمادة لاصـقة. كـلّ هـذا صـحيح. لكنـك غالبًـا مـا لا تـستطيع أن تمـشي بهـذا الحـذاء مـسافات طويلـة. قـدمك لا تريـده. لقـد أخـذ علـى حـذاء قـديم مهتـرئ.. مـشى بـه سـنوات. و لهـذا قـال القـدماء " قـديمك نـديمك " وأنـت فـي كـل خطـوة تتقـدمها لا تملـك الا أن تعـود بقلبك الى الوراء .

قـد تقـول لـك صـديقات و أنـت تـسيرين مـع رجـل وسـيم أو ثـري أو مهـمّ " كـم أنـت محظوظـة بهـذا الرجـل! " وحـده قلبـك الـذي تنتعلينـه و يمـشي بـصعوبة إلـى جـوارك.. يطالبـك بـالعودة إلـى البيت و إخراج ذلك الحذاء القديم من صندوق الماضي.

حـين حاولـت إقنـاع كاميليـا بفـتح قلبهـا لحـبّ جديـد. و القبـول بالحـديث إلـى رجـل آخـر و لـو علـى الهـاتف. رفـضت الفكـرة تمامًـا. قالـت " إن خانـه هـاتفي سـيخونه غـدًا قلبـي و بعـدها جـسدي. ألـست مـن قلـت إنّ حبًّـا كبيـرًا و هـو يمـوت أجمـل مـن حبّ صغير يولد ؟"

أسـقط بيـدي. قلـت " بلـى ". قالـت " مـا أريـده منـك هـو أن تـساعديني علـى البقـاء علـى قيـد الحيـاة بينمـا داخلـي يمـوت هـذا

الحــبّ الكبيــر. لا أريــد أن أفــوّت يومًــا.. أو لحظــة مــن احتــضاره العظــيم. للأســد هيبــة فــي موتــه ليــست للكلــب فــي حياتــه. حتــى و هو يموت لن أستبدل بجثّة هذا الأسد رفقة كلاب سائبة ! "

مــشكلتي مــع صــديقاتي أنّهــن قارئــاتي. و حــين يــشهرن فــي وجهــي كلمــاتي يهزمننــي. مــا عــدت أعــرف لكاميليــا دواءً. فهــي تريــد أن تنــسى و لا تريــد. و تريــد أن تــشفى و لا تريــد. و تريــد حــذاءها القــديم و تــدري أنّهــا فــي النهايــة يــوم تتأكّــد مــن أنّــه اهتــرى تمامًــا و لا اســكافيّ يمكنــه إصــلاحه. ســتحتاج إلــى حــذاء جديد كي لا تواصل الحياة حافية !

علــى اللائــي يــشقين فــي الحيــاة بــسبب ألــم حــذاء جديــد أو ذكــرى حــذاء قــديم، أن يحمــدن الله كثيــرًا علــى نعمــة امــتلاكهن أقــدامًا. أعنــي قلبًــا مــشين بــه فــي دروب الحــبّ. ثمّــة مــن جــاء و مــضى مــن دون أن يبــرح مكانــه. لــم تمنحــه الحيــاة قــدمين.. عاشــقين . و أولئــك لــم يمــنّ علــيهم الله حتّــى بنعمــة الــشقاء و العــذاب مــن الحبّ.

***

بقيت أتذمر من عدم امتلاكي حذاءً حتى رأيت رجلًا بلا قدمين

كونفوشيوس

طائر الحبّ الذي ما كنت تنتظرينه

لن أبقى طويلًا هنا.. لكن جميل أن تأتي

عباس بيضون

شهران و أنا أواظب على مهاتفتها يوميًّا كي لا تضيع جهودي سدًى. فقد تعلّمت أنّ في الحبّ كما مع المضادات الحيويّة لا بد من إتمام العلاج حتى آخر يوم و آخر حبّة دواء. تفاديًا للانتكاسات العاطفيّة التي لا يعد يفيد معها شيء بعد ذلك حين يستفحل داء الحبّ و يعود أقوى.

كانت صديقتي في تحسّن دائم. لكنّها كانت تحتاج إلى حبّ لتعود إلى الحياة. طبّقت كلّ نصائحي أصبحت أكثر جمالًا و اهتمامًا بنفسها. أصبحت أكثر انشغالًا بهواياتها. لكن لا رجل دخل حياتها ربما لأنّها ما زالت تحرس باب القفص تنتظر منذ عام عودة طائر الحبّ الذي مضى.

هاتفتها ذات مساء أعرض عليها مرافقتي إلى أمسية شعرية لشاعر كبير يزور بيروت. لم أترك لها مجالًا للرفض. قلت " سأمرّ لأصطحبك معي كوني جاهزة.. أعني كوني جميلة بعد الآن سأصطحبك إلى كلّ مناسبة ثقافية..".
أمام كسلها و ترددها قلت " غادري القفص طائرك لن يعود طالما ذبذباتك تقول له أنّك في انتظاره. نسيت أن أعلّمك الدرس الأهم. فقط عندما لا تنتظرين الحبّ يعود. و عندما لا تتحرّشين به يجيء صاعقًا و فتاكًا كما أوّل مرة.
عندما نزلت من البيت. كدت أشهق و أنا أراها قادمة. صحت بها ممازحة " أنا مجنونة لأدخل إلى الصالة معك.. كم أنت جميلة اليوم ! " قبّلتني و قالت " بل أنت الأجمل.. أحبّك ".
كآخر مرّة قبل سنوات يوم رافقتني إلى مناسبة كهذه كنت أرى الجميع يحتفون بها يأتون للسلام عليها. لكنها فقدت صوتها بعد أن غدا الصمت مهنتها.
ثمّ فجأة، ما عادت تتابع الحديث من حولها. تجمّد نظرها و هي ترى رجلًا بمظهر مميّز يلج إلى البهو. كأنّما الرجال اختفوا، فلم يبق سواه رجلًا بين الحضور.
ذهولها انتقل إليّ. ما كاد يراها حتى توجّه الرجل نحوها. كأنّه جاء من أجلها، برغم كونه بدا متفاجئًا و هو يلمحها.
لم يصافحها. لم يقبّلها على وجنتيها. لم يقل تقريبًا شيئًا، لكن كلّ شيء فيه كان يضمّها.
ما رأيت مشهدًا عشقيًّا أكثر عنفًا و التباسًا. حتى هي المخرجة تجاوزت صاعقة المصادفة خيالها السنمائي لكأني جئت بها لتلقاه. ربما امتنانا لي قالت وهي تعرفه بي :

- صديقتي الكاتبة ...

أضافت الى اسمي صفة الكاتبة كما لتقول أنني من شارك القدر في كتابة هذه المصادفة.

رفع الرجل نحوي نظرة آسرة دون جهد . مد يده يصافحني بفرح مهذب . قال فقط :

- سعيد بمعرفتك

لم يبدو عليه ما يشي بأنه قرأني أو عرفني . لعله سمع بي , أو لعله لم يسمع . رآني يوما ما على صفحات الجرائد او لم يرني من قبل .

كانت حواسه كما ذاكرته مأخوذة بالمرأة التي ترافقني . وكنت سعيدة أنهما نسيا حضوري الصامت المنسحب في حضرة الحب .

ابتعدت كي يتبادلا الاشتياق .

. ثمّ رأيته يودّعها و يمضي صوب قاعة المحاضرات.

تأخّرنا عن الالتحاق بالقاعة. كانت تتعمّد ألّا تدخل معه في الوقت نفسه فتغذّي الإشاعات. كان واضحًا أنّها لم تستمع إلى شيء ممّا ألقي من كلمات. راحت تبحث عنه بعيون قلبها. كانت ركبتاها ترتجفان بعض الشيء.

كلّ ما قالته:

- لن تصدّقي ما يحدث.

و حين أعدت طرح السؤال عليها " ماذا يحدث ؟ " التزمت الصمت. أو لعلّها لم تسمعني. قلبها ما كان يستمع إلّا إلى دقات قلبه الذي يخفق في مكان ما في القاعة.

في السيارة و بعد شوط من الصمت. حاولت استدراجها لاعتراف ما قلت:

- كأنّي أعرف ذلك الرجل الذي سلّمت عليه. لا أدري أين رأيته من قبل.

قالت ممازحة هربًا من سؤالي:

- ربما صادفته في كتبك. ألم تقولي " أجمل حبّ هو الذي نعثر عليه أثناء بحثنا عن شيء آخر".

لم أفهم.. أتكون عثرت على حبيبها حين يئست من انتظاره و ذهبت عساها تلتقي بسواه. أم هي عثرت على سواه أثناء بحثها عنه. المؤكّد أنّه حبّ قديم اشتعل بعد غياب من رماده.
ما كانت جاهزة لفتح أيّ حديث. هي أصلًا لم تحدّث أحدًا عدا ذلك الرجل. كأنّها جاءت لتكسر به حداد صمتها. تركتُها تعيش ذهولها به.
قلتُ لها و أنا أودّعها " بعد غد سنحضر العرض الأوّل لفيلم.." ردّت " اعذريني، تدرين أنّني لا أحبّ هذه المناسبات".
قلت مازحة " أفهم ذلك.. يكفي أن تحضري مناسبة كلّ أربع سنوات.. لتعودي بحبّ. برغم ذلك لن أدعك تعودين إلى خمولك سأهاتفك غدًا.. ربما غيّرت رأيك ".
في الغد عبثًا حاولت الاتصال بها بتوقيت ساعتنا الصباحيّة. كان خطّها مشغولًا، و كنت مشغولة أيضًا بالاستعداد للسفر. بعد يومين عاودت الاتصال بها عند التاسعة صباحًا. قالت أنّها استيقظت باكرًا و أنّها تأخذ فطورها على الشرفة. سألتني

إن كنـــت أودّ المـــرور بهـــا لنتنـــاول الفطـــور معًـــا. أجبتهـــا أنّنـــي علـــى أهبة سفر و لا وقت لي.

- كم ستتغيّبين.
- ثلاثـــة أســـابيع.. لكـــن اطمئنـــي ســـأهاتفك مـــن الجزائـــر بتوقيت موعدنا.
- معقول ؟ الأمر مكلف. لا تهاتفيني رجاءً.

علّقتُ مازحة:

- و مـــا دخلـــك فـــي مـــصاريفي ؟ أنـــا أهاتفـــك لأنّـــي أحتـــاج أن أهاتف أحدًا عند الساعة التاسعة !

ضحكنا كثيرًا.

قالت:

- إذن دقّي دقّة واحدة عند الساعة التاسعة.

قلت:

- صـــدقت. فـــي النهايـــة لا يحتـــاج الحـــب الـــى أكثـــر مـــن دقـــة الـــسعادة تكفيهـــا دقـــة واحـــدة... و أيـــضًا التحايـــل علـــى جبروت العادات الهاتفية !

احترمت وعدي كي لا أكسر عادتي.

علـــى مـــدى أســـبوعين كنـــت أدقّ دقـــة علـــى هاتفهـــا عنـــد التاســـعة بتوقيـــت بيـــروت، الثامنـــة بتوقيـــت الجزائـــر، الـــسابعة بتوقيـــت لندن.

إنّه الجنون... مجددًّا

" ربّما كان من الخير أن نحبّ بعقل و رويّة و لكن من الممتع حقًّا أن تحبّ بجنون ".

البارونة أوركزي

حال عودتي إلى بيروت، استعدت عادتي الهاتفيّة. بدأتُ صباحي بالاتصال بكاميليا بتوقيت موعدنا عساني أعرف أخبارها. أخيرًا دقّ الهاتف في بيتها ما كان مشغولًا هذه المرّة كما في كلّ مرة حاولت الاتصال بها من الجزائر . لكن المفاجأة كانت أن ردّ عليّ صوت رجل!

من صدمتي اعتذرت منه و أعدت طلب الرقم. لكن الصوت نفسه ردّ على الطرف الآخر من الخط.

سألته غير مصدقة تمامًا:

- هل يمكن أن أتحدّث إلى كاميليا ؟

أجاب الرجل:

- إنّها عند الحلاق.
- التاسعة صباحًا عند الحلاق ؟!

كانت تلك المفاجآت مجتمعة أكبر من أن أستوعبها. كيف أشرح له أن التاسعة صباحًا هي " ساعتي " و أنّه ليس من عادة كاميليا أن تغادر البيت في هذا الوقت.

ثمّ. من هو هذ الرجل ؟ السؤال الأهم هو هذا بالتحديد. لكن بأيّ حقّ أطرح عليه سؤالًا كهذا و هو في بيتها. و يردّ على هاتفها في غيابها.

قلت معتذرة:

- أنا صديقتها.. أحاول الاتصال بها منذ أيام لكن خطّها مشغول دائمًا. أردت الاطمئنان عليها ليس أكثر.
- إنّها جيدة.. فقط هي مشغولة بالاستعداد للسفر. سنسافر بعد الظهر. لذا هي مزدحمة بعض الشيء.

- تسافران اليوم ؟!

كانت نبرتي شبيهة بنبرة عشيق غيّور اكتشف خيانة حبيبته.

حاولت تخفيف وقع سؤالي، بسؤال آخر.

- إنها مفاجأة... تسافران إلى أين ؟

- إلى اليونان..

علّقتُ بنبرة زوج مخدوع:

- متى قرّرتما هذه السفرة ؟

- البارحة... أو بالأحرى منذ زمن.

لم أناقش الرجل في ما يقوله. كنت أريد مناقشتها هي. متى دخل هذا الرجل في حياتها ؟ أيكون هو ذلك الرجل الذي التقت به ذلك اليوم في البهو ؟ و هل يمكن أن تسافر مع رجل التقت به قبل أيام ؟ مثل هذا التصرف لا يشبهها. أو لعلّ الآخر عاد. لماذا لم تخبرني بذلك إذن ؟ لعلّها خافت أن أعود و أحذّرها منه. استنادًا إلى عام من العذاب. و ماذا لو كان صديقًا قديمًا أو مشروع حبّ سابق وجد الآن فرصته لدخول حياتها. فكثيرون كانوا يتمنّونها حبيبة و يحسدون من اختارته و أخلصت له من دون الرجال. كان في وفائها المرضيّ له إهانةٌ معلنةٌ لرجولتهم ربما عادوا الآن ليجرّبوا حظّهم.

كنت سأستدرجه للكلام. عساه يقول ما يشي به. لكنّه هو من قال ما فاجأني:

- سأخبرها أنّك اتصلت. ثمّ أضاف بضحكة مخاتلة.. ألست صديقتها التي تحرّضها على النسيان؟

أفقدتني سخريته المهذّبة صوتي. و امتلأت غيظًا. كيف لم تحتفظ بسرّ كهذا. و أفشت به لأوّل رجل دخل إلى حياتها.

أو لذاك الذي عاد إليها و قضيتُ شهرين أقنعها بنسيانه. يا لحماقة النساء!

قلت:

- كنت فقط أساعدها كي تتماثل للشفاء.
- تقصدين تتماثل للشقاء. و عندما تكون قد نسيت كلّ شيء هل ستكون أسعد ؟ وُجد الحبّ لينسيك الموت. لذا كلّما تنازلت عن مساحة من ذكرياتك تقدّم الموت و احتلها.

انقلبت كلّ الأدوار و أصبحت في دور المتهم وجدتني أدافع عن نفسي:

- أنا ما أردتها أن تتخلّى عن ذكرياتها. بل فقط عن رجل عذّبها و أبكاها و أشقاها و نسيها.
- من قال أنّه نسي ؟ أتعتقدين أنّ وحده الفيل يتذكّر ؟ و وحدها التماسيح تبكي ؟ و وحده النسر يُخلصى ؟

أيكون ذلك الرجل عاد بعد عام من الغياب و هو الآن يصفي حساباته معي ؟ يا لتلك الحمقاء. لكأنّها قضت فترة غيابي في الحديث عني.

سألته ممازحة تلطيفًا للجوّ:

- عذرًا.. أتكون نسرًا ؟

جاء جوابه مراوغًا:

- كان جميلًا لو كنت نسرًا. أنا مجرّد رجل. لكن النساء عامةً لا يفرّقن بين النسور و الصقور. النسر لا يحطّ على جيفة و لا يعود إلّا لأنثاه.
- و لماذا يتخلّى عنها إذن ؟ أهو نداء المدى.. و لأنّ جناحيه أضخم من أن يبقياه أرضًا ؟!

- لا.. مأساة النسر أنّه أسد يطير. إنّه أسد السماء. لكن أنثاه لا ترى فيه إلّا طائرًا. ماذا تعرف النساء عن غيرة الأسد و أنفته ؟ عن جنونه حين يشكّ في أنثاه فيعود لينكّل بصغارها.
- على علمي هو يفعل ذلك حين يريدها و تمانع.
- جميل.. يبدو أنّك تعرفين عن الحيوانات أكثر ممّا تعرفين عن الرجال !
- معلوماتي تقتصر على الحيوانات التي أحببت.
- في المرة القادمة أحبّي نسرًا كي تطمئني إلى كونه سيعود. فالفيل يملك ذاكرة انتقاميّة..
- و لهذا يموت وحيدًا !
- و هل أحببت فيلًا أيضًا ؟!
- كنت سأفعل طمعًا في وفائه. لكن عيوب الفيل أكبر من حسناته لذا ألغيت المشروع. سأكتفي بحبّ رجل.
- لماذا تعتقد النساء أنّ الرجال جميعهم خونة ثمّة سادة للوفاء جاهزين للموت عشقًا. كما ثمّة نساء خائنات يقتلن في الرجل رغبته في الإخلاص. الرجل يحلم بامرأة يخلص لها بإمكانه أن ينتظرها عامًا و أكثر سيستعين بذكراها على كلّ نساء الأرض فقط من أجل شهقة اللقاء حين يعود لها.

ظننتني أمسكت بدليل على أنّه الحبيب السابق. سألته:

- هل أفهم أنّك عائد من الماضي ؟

ضحك ضحكة ماكرة و قال:

- الماضي؟ لا أنا رجل الحاضر.

- و لماذا تدافع عن الماضي إذن ؟
- أنا لا أدافع عن الماضي. أنا أؤمن بالحيوات العدّة لقلب واحد ليس أكثر.

أسقط بيدي. هذا رجل خارج التقويم الزمني العاطفي. لن أعرف أبدًا من يكون. لكنّني أتوقّع أن يكون أحبّها بجنون في زمن ما.

كما حين قال:

- أتظنين العشاق الذين انصرفوا باكرًا مستغرقين في النسيان ؟ عندما يتعذّر عليك أن تحبّ أكثر أحبّ أقل. كلّما ينسحب الحبّ يعود أقوى. إنّه يتغذّى من فقدانه. صمت بعض الشيء ثمّ واصل.. تلك اللبوءة كنت هي كلّ حين و كانت أنا أحيانًا. و هو ما لا يقبل به أسد !

تراه كان يعني صديقتي ؟ كنت أعدّ دفاعي عنها فأنا أعرفها بقدر ما يعرفها و أكثر. أنا صديقتها منذ خمس عشرة سنة و إن كان رجلًا أحبّته يومًا في الماضي فهي حتمًا أخلصت له. لكن الحبّ لا يكتفي و لا يشبع إنّه التهام و افتراس للآخر. كلا العاشقين يرى أنّ ما أعطاه أقلّ ممّا أعطي. و أنّه لم يفترس حبيبه تمامًا و كليًّا ثمّة شيء منه نجا من بين فكيه، و على هذا القليل يختصمان.. و يفترقان!

قبل أن أبدأ في مرافعتي دقّ هاتفه الجوال و اضطر إلى قطع مكالمتي معتذرًا. ربما كانت كاميليا على الخط. حتمًا هي ما اكتفت بما أرسلت إليه من ميساجات أثناء وجودها تحت السيشوار.. الآن يلزمها صوته !

وقّـر علـيّ مجـيء الهـاتف كثيـرًا مـن الجـدل و عنـاء الـدفاع دون جـدوى عنهـا. ثـمّ أنـا لـن أعـرف أبـدًا أيّهمـا علـى حـق. يقـول مثـل لبنـاني" قاضـي الأولاد شـنق حـالو " فمـا بالـك إذن بقاضـي العشاق !

حين توقّف صوته لعنته في قلبي.

كـم شـوّش هـذا الرجـل عقلـي. كنـت سـعيدة قبـل سـماعه. كنـت مـن حـزب النـسيان. و أصـبحت مـن أنـصار النـسور. و لـو اسـتمرّ الحـديث معـه، كنـت سأنـشقّ عـن حـزب النـساء، و انخـرط فـي حزب الرجال.

أعـود و أصـحّح نفـسي. بـل انخـرط فـي حـزب العـشاق فهـذا الرجـل أسـرني بكلامـه، لأنّـه يـدافع عـن الحـبّ. كلّنـا ضـعفاء أمـام الحـبّ. كيـف أعلـن الحـرب علـى رجـل يقـول أنّـه يريـد أن يحـبّ امرأة كلّ دقيقة و مأخذه عليها أنّها احتفظت بدقائق لنفسها.

مـاذا نريـد غيـر رجـل كهـذا ؟ لـولا أنّ هـذا المخلـوق لـيس رجلًـا. هـو نفـسه يقـول أنّـه نـسر.. و أسـد. فكيـف نعـيش معـه فـي غـاب هـو ملـك فيـه علينـا. لمـاذا ناضـلنا إذن نحـن النـساء علـى مـدى قرون ؟

فـي الواقـع، نحـن ناضـلنا لنـستعيد حقوقنـا مـن هـذا الرجـل بالـذات. ثـمّ عـدنا و ناضـلنا لنـستعيده هـو بالـذات. و مـا زلنـا لا نـدري مـاذا نريد منه بالتحديد !

أنـا نفـسي لا أدري مـا أريـده منـه. أشـعر أنّـي بقيـت علـى جـوع إلـى حديثـه. ثمّـة أشـياء كـان يمكـن أن أسـرق بوحـه بهـا و هـو فـي فرحتـه هـذه بعـودة الحـبّ إنّهـا اللحظـة الأمثـل لاقتنـاص بوحـه.

بعدها سيأتي زمن تتوقف فيه ثرثرة الرجال. تحتاجين حينها إلى إجلاسه على كرسي كهربائي.. لتأخذي منه كلمة.
قرّرت أن أعاود الاتصال به. لي ذريعة منطقيّة:

- ألو
- أهلا
- عذرًا.. أدري أنّك تستعد للسفر أشكرك لأنّك أعطيتني من وقتك...
- عندما أعطي أنسى.
- لكن من واجبي ألّا أنسى لطفك برغم كوني أعمل على النسيان !
- ألهذا اشتريت موقعًا للنسيان على الانترنت ؟

يا الله حتى هذا أخبرته به !
قلت بتحدٍّ:

- بل اشتريت اثنين. حتى " نسيان.NET" اشتريته !
- إنّه استثمار سيء.. لقد اشتريت إفلاسك. لا أفقر ممن لا ذكريات له !
- لن أكون المفلسة الوحيدة.. العالم كلّه يمرّ بأزمة اقتصادية. الجميع أفلس.
- و لأنّه أفلس يحتاج إلى ذكرياته و ماضيه..
- ذكرياته الجميلة.. لا البائسة. المطلوب ذاكرة انتقائيّة.. لا يمكن أن نسمح للذين آذونا أن يواصلوا العبث بحاضرنا. أذًى واحد يكفي. و لا تقل " اغفري " أنا لا أغفر ! هل تغفر أنت ؟!

- تقصدين في الحبّ ؟ الحبّ أصلًا أذًى. لأنّك لا تتناولينه بجرعات محدودة. تكثرين من الحبيب و تدمنينه فتتأذّي به و تؤذيه لفرط حاجتك الدائمة و المتزايدة إليه.
ثم تتمرّدين عليه.. و تهجرينه فتمرضين به و تتسبّبين في مرضه. و في هذه الحالة فقط أغفر. عندما من يؤذيك حبًّا يفوقك عذابًا بك.
- شكرًا.. لكأنّك تزفّ لي بشرى.
- بل أزفّ لك خبرة.
- أتكون طاعنًا في الحبّ..
- طاعن في الأذى.
حاولت أن آخذ " الأذى " مأخذه الأجمل.
قلت:
- في جميع الحالات يسعدني أن أكون شاهدة على حبّكما.
قال كما ليذكرني بدوري السابق في إقناعها بنسيانه, قاطعا علي طريق العودة للتدخل في قصتهما .
- العشاق و الشرفاء ليسوا في حاجة إلى شهود.
كان واضحًا أنّه يعاتبني و يلغي دوري في حياتهما بعد الآن. ككل الرجال هو لا يطمأن الى الصديقات الائي يحطن بحبيبته . يدري قدرتهن على تشكيل حزب في مواجهته عند أول خلاف . انه كأي حاكم لا يرضى بتأسيس اي تجمع خارج الحزب الحاكم .
راودني الإحساس أنّه قد يسعدها لأيّام ثم سيستفرد بتعذيبها.
و لن تجرؤ على أن تعود لتشكوه لي مجددًا.
قلت:

- لقد عاودت الاتصال بك لأنّ لي طلب عندك. ربما لن تسمعني مجددًا. ربما لن نلتقي أبدًا. لكن لي ثقة في شهامتك. أيًّا كنت عدني ألّا تعذبها. فقد تعذّبت كثيرًا في الأشهر الماضية. ما عاد لي من وقت و لا جهد لمساندتها مرة أخرى. كن أنت سندها حتى حين تكون أنت الخصم. إنّي أودعتك إيّاها.

صمت ثمّ قال:

- الغالي وديعة الغالي.

و أغلق الخط.

ما أحلى الرجوع إلى... مصائبه!

" من الصعب أن تحبّ و تكون حكيمًا "

عاد الحب ..
وعادت كاميليا الى عادتها القديمة .
عشقها المفترس افترس أعصابي. و أتوّقع أن يعود و يفترس أحلامها مجددًا.
هكذا أحاسيس أقوى من أن تحافظ على خطّ بيانها انها تستنزف أصحابها مدًّا و جزرًا.وصالا وهجرا هو العشق. إنّه التطرف نفسه. و قريبًا ستبكي كاميليا من جوره و من ظلمه و صدّه. و لن أكون هنا بعد اليوم لتبكي على كتفي.
شهران و أنا أستميت دفاعًا عن النسيان. من أجلها و من أجل الحمقاوات أمثالها اشتريت كلّ نسيان العالم و استحدثت موقعًا. و أسّست حزبًا نصّبت نفسي عليه أمينًا عامًا و نائبًا. واثقة أنّني لو رشحت نفسي في الانتخابات اللبنانيّة (و هو ما يحقّ لي بصفتي لبنانية أيضًا) سأكتسح الساحة السياسية. و لن أبقي من كرسي لأقطاب 8 أو ل 14 آذار فأنا لا أحتاج إلى طبل أو إلى مزمار و لا إلى ليرة أو دولار لأقنع خمسة منتخبين على ستة بإعطائي أصواتهم. نظرًا إلى أنّ هذه هي نسبة الفتيات في لبنان مقابل رجل واحد أحد!
أسوق هذه التوضيحات , حتى لا يقول أحدكم ان أنا فزت بنسبة تفوق التسعين في المئة بفتات من الأصوات أنني زورت الانتخابات .

وفي جميع الحالات انه غير وارد على الاطلاق أن تسمح أنفتي بأقل من تسعين بالمئة من الأصوات , فهذا رقم أزلي من ثوابت الديمقراطية عندنا غير قابل للمساس أو النقاش .
تماما كرقم المليون بالنسبية للشعوب العربية , التي ترى في نقصان صفر من هذا الرقم انقاصا لكرامتها . هي ليست معنية بديمقراطية "التسعين" بل بمجد "الملايين".
لن أحتاج أن يتبنى حملة انتخابي عصابة من المقاولين وكبار اللصوص , فأعدهم بالصفقات و المناصب الحلوب. ولا أن أمد يدي الى خبز الفقراء لأمول من خزينة الدولة صوري العملاقة على الجدران و منشوراتي الدعائية .
حمدا لله النسيان مطلب نسائي جماهيري لا يستدعي ترويجا ولا تهريجا .
و قد تؤهّلني نتائج الانتخابات لإعلان نفسي رئيسة جمهوريّة النسيان لكلّ نسوان العالم العربي. و حينها سأتصرّف لمرّة كرجل. لتعذرني الأخوات المناضلات لن أرضى بتقاسم السلطة أو تداولها مع أحد. و كما يشغل الحكّام شعوبهم بالحروب و القضايا المصيريّة، سأشغل
وأجعل من " الشوبينغ " قضيتهنّ الأولى و أستحدث من أجلهن أعيادًا للتسوق و مواسم للتنزيلات تبدأ من هلا يناير إلى هلا ديسمبر كي أتمكّن من التفرّغ لحراسة الكرسي.
ثمّة وجاهة في أن يكون المرء " حارس كرسيّ " حتى و إن كان كرسيًّا شاغرًا للنسيان.
حتمًا ستواجهني إشكاليّة توريث هذا الكرسي. نظرًا إلى كون المنصب يتطلّب امرأة و أنا لم أنجب إلّا صبيانًا. لكن سأباشر

منــذ الآن بإعــداد أختـــي صـــوفيا لهــذا المنــصب. فلقــد شــرّع لنــا الرفيــق فيــدال كاســترو أطــال الله عمــره حــق توريــث الــسلطة بعــد نصف قرن من الحكم.. إلى الأخ!
و لــم لا ؟ مــادام " زيتنــا فــي دقيقنــا ". المــشكل الحقيقــي، ســيكون فــي صــعوبة حكــم ملايــين النــساء الحمقــاوات اللائــي لا يمتــثلن للتعليمــات و لا يعــرفن مــاذا يــردن بالــضبط مــن الحيــاة. هــنّ منخرطــات فــي حــزب النــسيان و عيــنهن علــى الرجــال. يقلــن " لا " و يضمرن " نعم ".
كهــذه المجنونــة التــي أنفقــتُ شــهرين فــي إقناعهــا بالنــسيان و مــا كــاد يقــول لهــا هــذا الرجــل " هــاي " حتــى قالــت لــي " بــاي " و لحقــت بــه. بــل لــم تقــل لــي حتــى " بــاي " و لا أخبرتنــي بمــا حــلّ بهــا. و لا كيــف تطــوّرت الأمــور بهــذه الــسرعة بينهمــا و حــصلت المعجــزة. ألــيس مــن حقّــي أن أعــرف ؟! أهاتفهــا فيطلــع لــي رجــل.. لا أعــرف حتــى الآن مــن هــو! معقــول ؟! يعرف هو كلّ شيء عنّي و لا أعرف حتى اسمه.
يــا الله كــم الفــرح أنــاني. و كــم الحــبّ لا مبــالٍ. حــين يجــيء الحــبّ بــسعادته الخرافيــة تلــك. تنــسى الأخــت أختهــا. و الــصديقة صديقتها. و يتنكّر الأب لأولاده.. و الأولاد لأمّهم.
للحــبّ مجــرّة لا علاقــة لهــا بأفلاكنــا. كاميليــا الآن فــي كوكــب علــى بعــد ســنوات ضــوئيّة مــن عــالمي الأرضــي. لا يمكنهــا رؤيتــي حتــى بــالعين المجــرّدة. باختــصار مــا عــدت موجــودة بالنسبة لها. و قد كنت على مدى شهرين كلّ حياتها.
أخــذت الــسماعة و طلبتهــا علــى جوّالهــا. فــردّت علــيّ بــشهقة الفرحة من كوكبها و هي وسط ضجيج صالون الحلاقة.

- أهـــلا.. حبيبتــــي اشــــتقت لــــك.. متــــى وصــــلت.. طمنيني عنك..
- وصلت البارحة حاولت الاتصال بك لكن..
- أنا لا أسمعك جيّدًا إنّي في صالون الحلاقة..
- متى أراك ؟
- ســـيكون صـــعبًا أن نلتقـــي اليـــوم.. ســـأغادر إلـــى المطـــار بعـــد ســـاعتين.. أراك حـــين عـــودتي بعـــد أسبوع أو أطلبك من هناك..
- أحتاج أن أراك قبل أن تغادري..
- هل ثمّة شيء ؟

(ســبحان الله تــسألني أنـــا إن كـــان ثمّـــة شـــيء أو " خبـــر عاجـــل " ما ؟)

- ثمّـــة أشـــياء.. لا بـــدّ أن نلتقـــي قبـــل ســـفرك.. أعطنـــي عنـــوان الـــصالون حيـــث أنـــت ســـأكون عنـــدك بعـــد نصف ساعة على أبعد تقدير.

ســـجّلت عنـــوان الحـــلاق علـــى ورقـــة بيـــضاء كانـــت علـــى مكتبـــي. ثـــمّ تنبّهـــت إلـــى شـــيء. فجلـــست فـــي مكتبـــي. قلبـــت الورقـــة و رحـــت أكتـــب علـــى وجههـــا الآخـــر تعهّـــدًا خطـــر نـــصّه فـــي ذهنـــي. فـــالكلام في مثل هذه الحالات لا جدوى منه !
ارتـــديت ثيـــابي علـــى عجـــل و لحقـــت بهـــا عنـــد الحـــلاق. كانـــت الصبغة على شعرها. وقفت تسلم عليّ بشيء من الاستغراب.
قالت:

- شغلتي لي بالي هل ثمّة شيء؟

- أردتُ أن ألحــق بــك يــا عزيزتــي لتــوقّعي لــي هــذه الورقــة قبل أن تأخذي الطائرة..

[نظـــرتْ إلـــى الورقـــة باســـتغراب و أخـــذتها منّـــي و راحـــت تطالعها بفضول.

كـــان علـــى أظافرهـــا طـــلاء لـــم يجـــف بعـــد. أمـــسكت بالورقـــة بحذر بإصبعين و هي مدهوشة لا تفهم ما الموضوع.

أخـــذت منهـــا الورقـــة وضـــعتها علـــى الطاولـــة الـــصغيرة المقابلـــة لها تحت المرآة. و قلت:

- طلبتـــك فـــي البيـــت و ردّ علـــيّ رجـــل. أتوقّـــع أن يكـــون حبيبك المنتظر أو حبيبًا سابقًا لا يهم.

بدا عليها الارتباك .قلت:

- كـــان عليـــك أن لا تخفـــي علـــيّ الخبـــر. كـــأنّي بـــك قـــد خـــشيت ردّ فعلـــي. أنـــا لـــست ضـــدّ عودتـــه.. و لا ضـــدّ دخـــول رجـــل جديـــد فـــي حياتـــك. النـــسيان لـــيس غايـــة. إنّـــه طريـــق يفـــضي إلـــى حـــبّ آخـــر. كـــلّ مـــا كنـــتُ أريـــده ألّـــا تتعـــذّبي بعـــد الآن بـــسبب رجـــل. لا شـــيء يـــستحقّ مـــا عـــشته مـــن آلام. لا تقبلـــي أن يتـــسلّى رجـــل بتعـــذيبك مـــن أجـــل لا شـــيء ثـــمّ يعـــود متـــى شاء.. كأنّ شيئًا لم يحدث.

ردّت:

- هو أيضًا تعذّب.

- انـــه مـــن أراد ذلـــك. هـــذا شـــأنه أتمنّـــى ألّـــا تـــضعي تكـــاليف عذابـــه علـــى فاتورتـــك و تعتـــذري لـــه. يحـــبّ الرجـــال قلـــب الأدوار!

ما كان يعنيها كثيرًا ما أقوله. سألتني بلهفة:

- ما دمت قد تحدّثت إليه .. كيف وجدته ؟
- الحقيقـــة.. أنـــا ســـعيدة أن تكـــون الحيـــاة قـــد كافأتـــك بهـــذا الرجـــل. ربمـــا لـــيس هـــو مـــن انتظرتـــه لكنّـــه كـــان يـــستحقّ ذلـــك. هـــذا رجـــل مـــن ســـلالة النـــسور. إنّـــه طـــائر نـــادر فعلًـــا أســـميته " الرجـــل النـــسر ". كـــان خـــوفي أن تكـــوني انتظـــرت واحـــدًا مـــن الرجـــال العـــصافير الـــذين ينقـــرون الفتـــات حيـــث وُجِدَ و يطيرون.

ســـعدت لكلامـــي. امـــتلأت ملامحهـــا بهجـــة. كمـــا لـــو أنّهـــا نجحت في الامتحان.

قلت:

- عليـــك بـــرغم ذلـــك أن تعلمـــي أنّ مثـــل هـــذا الرجـــل ســـيعاود الطيـــران. إنّ مـــن غـــاب كـــلّ هـــذه المـــدّة اكتـــسب مناعـــة ضـــدّ الفقـــدان. أجنحتـــه أكبـــر مـــن أن تـــدجّنيها. و عـــشقه أكبـــر شراســـة مـــن أن لا يؤذيـــك مجـــددًّا. و فـــي المـــرّة القادمـــة انتكاســـتك ســـتكون أكبـــر، و ألمـــك أعظـــم، لأنّنـــي لـــن أكـــون هنا لمساندتك.

صـــمتت و شـــحب لونهـــا فجـــأة. لكـــنّ صـــوت قلبهـــا كـــان يغطـــي علـــى صـــوتي. هـــي كانـــت تـــصدّق نـــصف مـــا أقـــول. تـــراهن علـــى

المعجـــزة. ربمـــا عـــاد ليرتـــاح و يريحهـــا. لـــيس فـــي مقتبـــل العمـــر هذا النسر !

قلت:

أتوقّـــع أنّ مـــا قلتـــه لـــك علـــى مـــدى شـــهرين قـــد تبخّـــر أمـــام فرحتـــك بعودتـــه. ليبـــق لـــك ممـــا قلتـــه علـــى الأقـــل أربـــع نـــصائح. إن حفظتهـــا و عملـــت بهـــا لـــن يعـــذّبك رجـــل بعـــد الآن. لقـــد كتبتهـــا لـــك فـــي هـــذه الـــصفحة فـــي صـــيغة تعهّـــد. أريـــد منـــك أن تقرئيهـــا بـــتمعّن و أن توقّعي أسفل هذه الورقة.

ضحكت و قالت:

- معقول.. جنّيتِ؟!
- لا.. لكنّنـــي أدري أنّ الـــسعادة جرّدتـــك مـــن قـــواك العقليّـــة. إنّ قـــانون الحـــبّ لا يحمـــي الأغبيـــاء.. أريـــدك الآن قبـــل أن تلتحقـــي بـــه أن تطـــالعي هـــذه الـــصفحة. و تحفظيهـــا كمـــا كنـــت تحفظـــين عـــن ظهـــر قلـــب المحفوظـــات فـــي المدرســـة. فقـــد توفّر عليك نصائحها كثيرًا من الألم في المستقبل.

ألقت نظرة عجلى على ما جاء فيها. ثمّ قالت:

- أعرفها.. سبق أن قلتها لي..
- لـــيس مهمًّـــا أن تعرفيهـــا بـــل أن تتـــذكّريها. ثـــمّ أريـــد توقيعـــك أسفل الورقة.

أخـــذت قلمًـــا مـــن محفظتهـــا و وقّعـــت أســـفلها و هـــي تـــضحك.. " كاميليا ".

قلت:

- أريـــد اســـمك كاملًـــا أبًّـــا عـــن جـــد.. فهكـــذا توقّـــع النـــساء اللائـــي تحترمن أنفسهن و تحترمن معاهداتهن.

قالت ضاحكة:

- معقول.. تريدين شجرة عائلتي!
- طبعًا.. المرأة توقّع بأصلها لا باسمها. حتى يردعها أصلها. ثمّ تعلّمي أن تضعي بينك و بين أيّ رجل أبوك. لا تدخلي الحبّ مقطوعة من شجرة فيُصبح الحبيب فأسك.. الآخر.

لا أدري إن كان كلامي قد أقنعها أم أنّها كانت تستعجل التخلّص من مواعظي. راحت تكتب اسمها كاملًا على الورقة. أثناء ذلك حضرت الحلاقة تطلب منها مرافقتها لغسل الصبغة عن شعرها.
قلت و أنا آخذ منها الورقة و أقبّلها مودّعة:

- سأحتفظ بها لأذكّرك بها في حالة ما عدت لتشكين لي خيباتك. استمتعي بسفرتك فأنت تستحقينها حقًّا **!**

ها أنا وحدي , في حقيبة يدي معاهدة النسيان. و في حقيبتها تذكرة سفر إلى جزر الحبّ.
يا للحماقة**!**

تعهّد

أنا الموقعة أدناه أقرّ أنّني اطّلعت على هذه الوصايا. و أتعهّد أمام نفسي. و أمام الحبّ، و أمام القارئات، و أمام خلق الله أجمعين المغرمين منهم و التائبين، من الآن و إلى يوم الدين. بالتزامي بالتالي:

- أن أدخل الحبّ و أنا على ثقة تامّة أنّه لا وجود لحبّ أبدي.
- أن أكتسب حصانة الصدمة و أتوقع كلّ شيء من حبيب.
- ألّا أبكي بسبب رجل. فلا رجل يستحقّ دموعي. فالذي يستحقّها حقًّا ما كان ليرضى بأن يُبكيني.
- أن أحبّه كما لم تحبّ امرأة. و أن أكون جاهزة لنسيانه.. كما ينسى الرجال.

التوقيع:

بيروت التاسعة صباحًا
18 مارس 2009

+ ملاحظة: مطلوب من كلّ قارئة إضافة اسمها أسفل هذا التوقيع

و الآن.. حلّوا عني!

أحمل شهادة من جامعة النّسيان و يداي خاليتان كمثل قميص على الحبل

الشاعر السويدي توماس ترانسترومر

في الغد ، استيقظت باكرًا. صديقتي التي حاولت إنقاذها من ذاكرة الساعة التاسعة. سافرت و أورثتني " ساعتها ".
ذهبت مع حبيبها و تركت لي جثّة هاتف. ينوب عنها. " إذا رميت طوق نجاة إلى غريق فسيطالبك حتمًا بركوب سفينتك "!
كاميليا ركبت مركب الحب مجددا و ها هي وصلت إلى الشاطئ (لن أقول إلى برّ الأمان فأنا لا أثق في ما ينتظرها في الجزر المسحورة للحبّ !)
ما عاد لها من عقل لتذكرني، أردتها أن تنساه فنستني خلفها أجدف في بحار الذاكرة، كلّ يوم عند الساعة إيّاها !
كان صوتي خدعة عاطفيّة تكسر ساعتها الداخليّة، تخفّف بالكلمات، زرقة الكدمات التي تركها الفقدان. قرص حنان تتناوله كلّ صباح في تضليل هاتفيّ ينسيها هاتفًا لا يأتي.

صار عليّ الآن أن أعثر على من يهاتفني في الساعة نفسها و لو تضليلًا..

[تبًّا لها.. لقد أوجدت لي حاجة جديدة. بثّت فيّ نيكوتين عادة هاتفية عليّ الآن الشفاء منها.

ثمّة خيارين: أن أباشر بالبحث عمن يهاتفني من الصديقات. و في هذا الدواء داء لا أريده. أو أسمح لرجل أن يقوم بهذه المهمة الهاتفيّة " العاطفيّة ". و سيكون عليّ لاحقًا أن أستعين برجل آخر لأتخلّص من طغيان عادته ، و أستعيد حريّتي. أيّ أنّني سأكرّر حماقة الشعوب العربيّة التي درجت عبر التاريخ أن تتكئ على محتل لتتخلّص من طاغية !

ثمّة حلّ آخر حضرني للتو. أن أعيد قراءة هذا الكتاب عساني أتعلّم منه كيف أنسى. فلا أعرف أحدًا غيري أولى بقراءته.

أحتاج أن أنسى أوّلًا صديقتي و حبيبها، و الرجال النسور، و الرجال الصقور، و كلّ الذكور و العصافير و الأسود و الفيلة. و كلّ الحيوانات البشرية، التي تمشي على هذه الأرض، من عقارب و أفاعي و حرباء. " و مالك و مال الحيوانات؟ " ستسألني ليلى و الساذجات ممّن خالفن وصايا النسيان، و سيأكلهن الذئب الحبيب. و لن أجيب.

" لا تقدّم أبدًا شروحًا لأحد. أصدقاؤك الحقيقيّون ليسوا في حاجة إليها و أعداؤك لن يصدّقوها ".

لقد قمت من أجلكّن بما لم تقم به الجدّة الطيّبة التي كنتنّ تحملن إليها الفاكهة حين تحرّش بكنّ الذئب في الغابة.

(أو كنتن تتذرّعن بزيارتها لتتحرشن به !) و فتحت لكنّ

" حـــضانة عاطفيّـــة " فـــي الانترنـــت لاســـتقبال ضـــحايا الـــذكريات التعيسة، قصد إعادة تأهيلكن للحياة.
و الآن " حلّوا عنّي "!
إنّها التاسعة صباحًا.
هنـــا ينتهـــي الكـــلام المبـــاح عـــن عمـــركن المـــستباح باســـم الحـــب. لـــذا تركـــتُ لكـــنّ صـــفحات بيـــضاء، إملأنهـــا بمـــا تـــشأن مـــن حكايـــاتكن مـــع الحـــبّ و النـــسيان. ربمـــا أهـــديتن الكتـــاب بعـــد ذلـــك إلـــى صديقة.. أو إلى حبيب منسيّ.
لا تنـــسين فـــي خـــضم النـــسيان أن تـــوقّعن تلـــك المعاهـــدة. و أن ترســـلن إشـــعارًا بـــذلك إلـــى موقـــع nessyane.com ليـــضاف إلـــى توقيع كاميليا و توقيعي و توقيع حزب الصديقات.
+ مـــن المفـــروض أن نجمـــع أربعـــين ألـــف توقيـــع نـــسائي بعـــدد نـــسخ الطبعـــة الأولـــى مـــن هـــذا الكتـــاب وحـــده. (إلّـــا إذا قـــام الرجـــال بـــشراء نـــصف الكميّـــة مـــن النـــسخ عـــن فـــضول.. أو لمـــصادرة حقّنا في النسيان).
أمـــا الأهـــم فـــأن تحفظـــن وصـــايا هـــذه المعاهـــدة جيّـــدًا. تـــوفيرًا لأشهر من العذاب و أعوام من الأوهام.
أتمنّى ألّا تأتي إحداكن في المستقبل لتشكوني ذاكرة عشقيّة ما.
دبـــروا راســـكم مـــا عـــاد لـــي علاقـــة بالنـــسيان. سأشـــرع فـــورًا بكتابـــة " فصل الفراق ".
بعد الآن. النسيان.... " **نسيان. كُم** "!

أكبر الخيانات النسيان

صبرت عليك و أدري
كان رهانك كسري
من قهري
قاطعت حنين الوقت إليك
ارتشافي صباحاً لصوتك
ارتطام أشواقي بموجك
من فرط سهادي بك

*   *   *

ما خنتك
لكنّي رحت أخون الزمان بعدك
أعصى عادة العيش بإذنك
أنسى انتظاري لك
فرحتي حين يحلّ رقمك
ازدحام هاتفي بك

*   *   *

كم أخلصت لغيابك
لكنّها ذاكرتي خانتني
تصوّر

ما عدت أذكر عمر صمتك
و لا متى لآخر مرّة قابلتك
و كم من الوقت مرّ من دونك
فكيف قل لي أنتظرك
و أنا ما عدت أعرف وقع خطوك

* * *

مذ افترقنا
ما عاد الأمر يعنيني
سيّان عندي إن غدرت أو وفيت
يكفيني يا سيّد الحرائق
أنّك خنت اللهفة
و أطفأت جمر الدقائق

* * *

ما خنتك.. لكن خانك حبري
مذ قرّرت ألا أكتبك
لن تدري
كم اغتلت قصائد في غيبتك
حتى لا تزهو بحزني
حين تشي بي الكلمات
ما خنتك..
فقط نسيت أن أعيش بتوقيتك

ما عدت أذكر
كم من المطارات حطّ قلبي بها
دون علمك

* * *

و الله ما خنتك
و لا ظننت قلبي
سيقوى على الحياة بعدك
لكنّه الخذلان
علّمني أن أستغني عنك
أصبحت فقط
أنسى أن أسهرك
أأبى أن أذرفك
أكثر إنشغالاً من أن أذكرك
و أكبر الخيانات.. النسيان!

ديسمبر 2007

أيّها النسيان هبني قبلتك

أيّها النسيان أعطني يدك
كي أسير في مدن ذكرى معك
نضج الفراق
على شفاهي أزهرت قبل الوداع
لك قطافي
يا نسيان هبني قبلتك

*　　*　　*

يا واهب السلوان
عارٍ من ذكراه عمري
معطفي أنت
إليك افتقاري
يا سيّد الإياب
تفرّق الأحباب
موارب الأبواب قلبي
كلّ افتراق و أنت انتظاري

*　　*　　*

نسياني.. يا نسياني
امرأة تشبهني يوما بكت
من رجل كم يشبهك
ها هي ذي اليوم سلت
هو هناك
و هي هنا تراقصك

* * *

يا قدري.. يا أملي.. يا رجلي من دون الرجال
يا نسياني
راقصني.. خاصرني.. طيرني.. غازلني
قل "ما أجملك!"
بك أحتفي
لك أفي
ما دمت لي.. ما دمت لك
لن أرتدي حداد الحب

حزيران 2007

أبدًا لن تنسى

لك وحدك
كانت كلماتي تخلع خمارها
و القلب تحت خيمتك
يجلس أرضًا ضيف حبّ
تطعمه بيدك

*   *   *

كم احتفاءً بي
نحرت من غنيمة
ثمّ ذات غيرة بيدك تلك
جورًا نحرتني

*   *   *

أبدًا لن تنساني
أبدًا لن تنسى
أبدٌ من الندم ينتظرك
من أضاعني قضى وحيدًا كحصان
لا مربط بعدي لقلبه

يناير 2006